
سادة القافلة 25
أمر النار بيدك
حجت ايرفاني
6000
4000
METERS
2000
دار المعارف الإسلامية الثقافية


بسم الله الرحمن الرحيم
MRTsoft



الـــــكـــــتـــــاب: **أمر النار بيدك (سادة القافلة** 25)

إعداد النسخة الأصلية: **سوره مهر**

إعداد النسخة العربية: **مركز المعارف للترجمة**

تـــرجـــمـــة: **إيمان صالح**

الـــنـــاشـــر: **دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة**

إخـــراج فـنـي: **علي عليق**

طـــبـــاعـــة: DBOUK 0096133336218

الطبعة الأولى - 2019م

ISBN 978-614-467-126-9

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 76 960 347


سادة القافلة 25
أمر النار بيدك
حجت ايرفاني
جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

المحتويات

إشارة

يـؤدّي عناصـر الرصـد والمعلومـات دوراً أساسـيّاً في العمليات الحربيّة؛ سـواء عند التخطيط لها أو عند التنفيذ، فالراصـد يعمل في أوقات حساسـة وظروف قاسية بغية توجيه مسار النار والإسناد المدفعـي وغـيره؛ ويمكن القـول: هو في قلـب النــار، ويتوقف نجاح العمليات على أمور عديـدة؛ أبرزها دقة التخطيط والمعلومات التي يوفرهـا رجال الرصـد والاسـتطلاع؛ وكذلـك الجهوزيّة والصـبر والتحمل عند قيامهم بالمهام.

ليس الكتاب بحثاً فنّياً في تكتيكات الرصد؛ إنما ذكريات حقيقيّة روتهـا ثلّـة من هـؤلاء الرجـال المغموريـن في العادة وعلى رأسـهم الكاتـب القدير حجّت ايرفاني؛ ذكريات حكت عن أحوال ومعنويات وبطـولات استمدّت قوتها من وضوح الرؤيـة والعقيدة وقوة الايمان بالغيـب والامتثـال للتكليف وعشـق الولاية؛ وقد وصلـت نسخة من الكتـاب إلى يـد السّيد القائـد (حفظه اللّٰه)؛ قرأهـا وأثنى عليها: «..في مقالـة حجت إيرفاني؛ تمّ بيان الجهود المريرة والمُتعبة لقوات الرصد بشكل جيد. إلهي أعـطِ هؤلاء الشباب الطاهرين أفضل ما تعطي أولياءك الصالحين، وأنلَنا نحن أيضاً نصيباً من ذلك العشق والإخلاص»(1992/3/4).

وقـال سماحته في لقائـه أعضاء مكتب أدب وفـن المقاومة أثناء

حديثه عن كتاب متعلـق بالمسعفين الحربيين: «..فمن دون أن يكون الإنسـان مسعفًا لن يتمكن مـن كتابة موضوع (عـن المسعفين)، أو ذلـك الشخص الـذي ألّف كتاب «أمـر النار بيـدك»، كان واضحًا وبحسب القاعدة أنه عنصر رصد واستطلاع»(1992/7/13).

هذا الكتاب..

ضمـن مجموعـة أدب الجبهة يسرّنا أن نقـدّم الترجمة العربية لكتاب «آتش به اختيار»؛ الإصدار الـ«25» في سلسلة «سادة القافلة»؛ ولا يسعنا إلا أن نتقدّم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذا العمـل؛ المترجمة: إيمان صالح. فريـق التحرير والمراجعة في مركز المعارف. المصمّم الفني: الأخّ علي عليق. ناشر النسخة العربية: دار المعارف الإسلامية الثقافية. والشكـر الوفير لمؤسّسة (سوره مهر) ومعـدّي النسخـة الفارسية: الـراوي وصاحب الذكريـات؛ ومكتب «أدب وفن المقاومة».

ربيع الأول 1440هـ.

مركز المعارف للترجمة

تمهيد

كان «حجت إيرفاني[1]» راصدًا ثاقب البصر أيام الحرب المفروضة، تمكّن بعينيه المحترفتين الشغوفتين من إصابة «غراب العدو الأسود بالعصا»، وقد ذُكر اثنان من هذه المذكرات في كتاب «آلفاتان» وكتاب «تلال الشقائق الأرجوانية». آمر النار هو عصارة ذاكرته عن أيام الحرب والرصد خلف المنظار الثنائي والمنظار الأفقي[2].

على أمل أن يحذو الرُصّاد الآخرون حذوه بتزويد مرابض مدفعيّة مكتب أدب وفن المقاومة بالإحداثيات.

مكتب أدب وفن المقاومة

2-12-1369هـ.ش. 21-2-1991م.

1 - ervany. تُكتب: ايروانى بالفارسية.

2 - المنظار الثاني: Binoculars – المنظار الأفقي: periscope المستخدم أيضًا في الغواصات. (المترجم)

مقدّمة الكتاب

المجموعة التي بين أيدينا، هي ذكريات إخوة عملوا في رصد الأعداء طوال فترة الحرب المفروضة التي عرفت الكثير من الإخفاقات والانتصارات، واضطلعوا بمهام حسّاسة وخطيرة بعيدًا عن الأضواء.

وبناءً على تنوع المهام التي توكل إلى الرصّاد، يمكن تقسيمهم إلى عدة مجموعات:

1- راصد الاستطلاع، ومهمته تسجيل وإرسال المعلومات حول تحركات الأعداء.

2- راصد السلاح المتوسط والهاون، ومهمّته التمركز في الخط الأمامي والتوجيه لضرب ودكّ مواقع وتحصينات الأعداء في خطّي جبهتهم -الأول والثاني- حين تقتضي الضرورة.

3- راصد المدفعية، ويتمركز في الأماكن الوعرة المغطّاة بالثلوج والفاقدة للإمكانات، أو في المناطق السهليّة جنوب البلاد حيث يعمل في أبراج مراقبة يتراوح ارتفاعها ما بين 30 و60م، ومهمته إعطاء الإحداثيات لأهداف في عمق جبهة الأعداء، تدمير الأهداف، وجمع المعلومات عن تحركات مدفعيتهم وتمركز أو انتقال بطاريات الصواريخ. ومن مهامه أيضًا استطلاع أماكن تمركز المدفعية، والدبابات، والسلاح المتوسط والتغيرات الطارئة على خطوط

الأعداء الأمامية. تُعدّ الدبابة من أخطر أعداء الراصد، لأنّها توجّه قذائفهــا نحو أبراج المراقبة بشكل مباشر، ويكون درء خطرها عبر توجيــه راصد المدفعية ضربات دقيقــة وسريعة إليها فيجبرها على التراجع أو يدمّرها.

4- الراصــد المتحرّك أو السيّار، الــذي أثبت فعاليته وجدارته في عمليــات «كربلاء 5» على أحسن وجه. تبــدأ مهمة الراصد المتحرك صباح العمليات. ويجب أن يكون ماهرًا في استخدام جهاز اللاسلكي، والبوصلة وقراءة الخرائط، وأن يكون جسورًا لا يعرف الخوف طريقًا إليــه. ليس لهذا الراصد مكانًا محــددًا وينبغي أن يكون على تنسيق تــام مع بطاريات المدفعيــة[1] في المنطقة. مهمة هــذا الراصد تدمير الأهداف التي عجز راصد السلاح المتوسط عن الوصول إليها، وعند هجــوم الأعداء، عليه إعطاء الإحداثيــات الدقيقة للمدفعية لتصبّ نيرانهــا على تجمعات دباباتهم ومشاتهم لتدمير قدراتهم وإضعاف معنوياتهــم. وإذا تمكّــن الأعــداء مــن اقتحــام الخــط، عليــه بكل شجاعة وإيثار أن يعطــي إحداثيات النقطة المتواجد فيها للمدفعية. وستشهــدون هذا النــوع من التضحيات في هذه المذكــرات. يبقى أنّ أكبر خطر يهدّد الراصد المتحرك في الخط الأمامي، قذائف الهاون عيــار (60ملم) والقناصــة، لأنّ الراصد –وبهــدف استطلاع مكان سقوط القذائف وتصويــب مسارها– يطل برأسه مرارًا وتكرارًا من خلف الساتر الترابي، فينكشف موقعه للعدو وتتعرض حياته للخطر. رغــم المخاطر التي يتعرض لهــا، يؤدي الراصد المتحــرّك أو السيّار مهامّه ببسالة وإيثار.

1- بطارية المدفعية: عدد عناصرها ما يقارب الكتيبة.

5- الراصد المتسلل، هو من الناحية التقنية والعملية شبيه بالراصد المتحرك، وعليه أن يتمتع بمهارات كافية. مهمته اختراق خط الأعداء والتسلل عدة كيلومترات في عمق جبهتهم، ليصل إلى الهدف ويدمره بدقة متناهية. العدو الرئيس للراصد المتسلل هو الطيران المروحي الذي يبحث عن مكان تواجده، ويُعدُّ التخفي عن أنظار المروحيات من أصعب المشاكل التي يواجهها خلال تنفيذ المهمات.

تمحورت المذكرات في هذا الكتاب حول الراصد المتحرك والمتسلل، آملين أن نكون قد ساهمنا في الإضاءة على بعض وقائع هذه الحرب وكشفنا غبار المجهولية عن هؤلاء الرُصّاد الذين شكلوا طلائع الجند.

الشيخ محمود

قبيل عمليات «كربلاء 5»، كانت خطوطنا الخلفية في ثكنة حصن خرمشهـر في مكان عُرف بإسم «قصر صدام»، وهو بناء كبير تحت الأرض مؤلف من قاعة كبيرة وأربع غرف مساحة الواحدة منها 12م إضافة إلى غرفتين مساحة الواحدة 24م، وحمام، ومرحاض مع فناء كبير نسبيًّا. يعلو القصر سقف مبنيّ من ألـواح حديديّة متراصفة ملتصقة بعضها ببعض، ولست أبالغ إن قلت لا يمكن للشعرة أن تمرّ خلالها. هذا ويرتفع التراب فوق السقف حوالي 6 أمتار.

في إحدى الليالي بعد صلاة المغرب، ذهبت مع الإخوة إلى غرفة الإعـلام وتوافقنا على الاستمـاع إلى تسجيل «مقام الشهيد» للشيخ حسين أنصاريان. عند منتصف التسجيل، وكلٌّ منّا في حاله -وكنت قد أطفأت مصباح الغرفة- فُتح الباب ودخل أحدهم إلى الغرفة ثم أغلقـه وجلس في إحدى الزوايا، وقد تعطّرت الأجواء بدندنة الإخوة الذين أضـاءوا ظلمة الغرفة بنور قلوبهـم. عندما انتهى التسجيل، أضأتُ المصباح، ولا إراديًّا وقع نظري على الزاوية حيث جلس عالم دين يكفكف دموعه بالمنديل. هكذا كان لقائي الأول بالشيخ محمود. اسمـه الكامل «محمود ملكـي»، وكان الإخوة ينادونه «حاج ملكي» أو «الشيخ محمود».

ظننـت في البداية أنـه من رجال الديـن الذين يهتمـون بالأمور

الفقهيــة وحسب، لكن مــا إن انضــمّ إلى جوقتنــا وشاركنا مزاحنا وضحكاتنــا، حتــى أدركــت أن لا ندّ لــه وأن لا أحد ينجــو من لسانه اللاذع. وأكثر من ذلك، لا أحد يعرف ما هي مهمته أو عمله بالضبط.

بعد أيام، اصطحبني الحاج قاسم مع عنصرين آخرين إلى دشمة رابــط المقرّ الواقع في «المخمس». لم يكن قــد مضى على وصولنا إلى الدشمة بضع ساعات، حتى سمعنا صوت توقف دراجة نارية بالقرب منهــا. بعد لحظــات رأيت الشيخ محمــود واقفًا في البــاب. قبل عدة أيــام كنــت قد ذهبت علــى الدراجــة النارية إلى الخط حيــث أفراد «الفرقة10»، ورأيت الشيخ محمود يساعد عددًا من الإخوة لملء أكياس الرمــل. باختصار، كان الشيخ محمــود في كل مكان. بعد مدة تعقّبت أخباره وعلمت أنّ عمله الأساسي في كتيبة السيدة زينب عليها السلام، فرقة «سيــد الشهداء10»، لكــن عندما يذهب عناصر الكتيبــة في مأذونية إلى طهران أو ينتقلوا للخطوط الخلفية، كان الشيخ محمود يأتي إلى مجموعتنا وهو من العناصر المتطوّعة في المقرّ.

لقد كان لرجل الدين هذا مكانة في كلّ القلوب. فتراه في مراسم الدعــاء والعــزاء الأكــثر توسّــلًا وتضرّعًــا، أمــا في مجلس المزاح والضحك فكانت له اليد العليا، ولم يكن يهمل فرضًا أو نافلة.

كانت إحدى قدميه مصابة بالشلل منذ الولادة، لكنه على الرغم من ذلك قاتل كتفًا بكتف مع عناصر الكتيبة لتحرير مناطق السواتر الهلاليّة في عمليات كربلاء 5. كان في المعركة كقائد الكتيبة صاحب حركــة دؤوبة صعودًا ونزولًا، في الخط وفي المقــرّ، في السيارة وعلى الدراجــة النارية. باختصار، كان متعــدّد الاستعمالات ويبرع في أي عمل يوكل إليه. حقًا لم أرَ إلى اليوم عالم دين بمهارته.

في أحد الأيام، أجرى معه مراسل صحيفة «جمهوري إسلامي» مقابلة ومن الأسئلة التي طرحها عليه: «برأيك ما الفرق بين المدينة والجبهة؟».

أجاب الشيخ محمود على هذا السؤال بحنكة قائلاً: «يمكن مقارنة شيئين بعضهما مع بعض إذا كان بينهما قواسم مشتركة، لكن المدينة والجبهة عالمان مختلفان تمامًا ولا قواسم مشتركة بينهما، لذا لا يمكن مقارنتهما».

عندما حصلت على مأذونية وعزمت على الذهاب إلى طهران قلت له: «أعطني عنوانك يا حاج لأزورك عندما تكون في طهران». وكعادة معظم علماء الدين أعطاني عنوان حوزته العلمية. على أي حال، عندما كنت في طهران، سنحت لي الفرصة أواخر أيام مأذونيتي لزيارة الشيخ محمود. كانت مدرسته الحوزوية قريبة من مزار «حضرة عبد العظيم»، دخلت إلى المدرسة واستدلّيت على حجرته. طرقت الباب بهدوء وفتحته لدى سماعي كلمة «تفضل». وهناك رأيت الإخوة المقاتلين؛ من مسؤول الكتيبة إلى العناصر العادية؛ متحلّقين حول الشيخ كأنه جوهرة ثمينة.

كان الشيخ محمود الرقم واحد في جميع المسائل والأمور الدينيّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة، والمرح، والقتال، والصمود، والإدارة، والاستقطاب وغيره.

مرّت الأيام منذ ذلك اللقاء، إلى أن حدّثني أحد الإخوة من كتيبة السيدة زينب عليها السلام، عن آخر يوم من حياة الشيخ محمود قائلاً:

- في أحد الأيام، كنا جالسين حول مائدة الغداء عندما دخل

وباعـد بيديـه بين اثنين مـن الإخـوة الجالسين مفسحًـا في المجال ليجلس إلى المائدة، وقال مبتسمًا: «هل يمكنني تناول آخر غداء لي معكم؟». حقيقةً كان آخر غداء له!

ففي عمليات «بيت المقدس» انسلخ الشيخ محمود عن هذه الدنيا وحلّق نحو دار البقاء.

في أحـد الأيـام، ذهبت إلى «جنـة الزهـراء»، لأزور قبر الشيخ محمود والتقيت والده هناك. بعد أن تحدثنا قليلًا قلت له:

- حدّثني يا حاج عن الشيخ محمود.

تنهّد بحرقة وقال:

- أذكـر أنني قلت له: «يا محمود! لقد أصبحت والحمد لله عالم ديـن، عندمـا أموت علـى الأقل اقرأ القـرآن على قـبري». ضحك محمود وقال: «ما بك يا حاج؟ أنت من عليه أن يحمل تابوتي».

وتابع الأب الثكل:

- مـن مميزات محمـود أنه كلما أراد الذهـاب إلى الجبهة كان يفتح القرآن ويقرأ، ثم يقول: «سأذهب وأعود»، لكن في المرة الأخيرة عندما فتح القرآن، لمعت عيناه ببريق خاص، وتمتم قائلًا: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾. لم أعِ شيئًا ذلك اليوم، لكن عندما حملوا لي نبأ عروجه أيقنت أنه كان علَى علم بوقت استشهاده.

روحي فداء المهدي عجل الله فرجه الشريف

كنت أجول في سوق خرمشهر، عندما وقعت عيناي على سعيد يقف خلف طاولة دكانه ويهتم بزبائنه. سعيد هذا من مدينة خرمشهر، بعد الهجوم البعثي الهمجي أرسل عائلته إلى مدينة شيراز، بينما بقي مع أخيه «صمد» وشاركا في الدفاع تحت راية الحرس الثوري.

كان أول لقاء لي به أواخر صيف عام 1984م. أي أول مرة عملتُ فيها راصد مدفعية، حينها كان هو مسؤول الرماية بالكاتيوشيا.

شارك سعيد مع أخيه في الحرب بكل شجاعة حتى آخر يوم فيها. وبعد انتهائها ترك الحرس الثوري من دون أن يطلب شيئًا لنفسه، وافتتح دكان بقالة في خرمشهر.

في إحدى المرات دلني سعيد على أطلال منزل والده الذي لم يبقَ منه سوى الركام ودعامة حديدية ملتوية. وها قد عادوا الآن ليبدأوا من نقطة الصفر.

كنت أنظر إلى ملامحه البسيطة من خلف الزجاج، عندما رفع رأسه فتلاقت نظراتنا، وبعد ثوانٍ كنّا نتعانق بحبور.

بعد أن تبادلنا الأحاديث والسؤال عن الحال والأحوال، اقترحت عليه أن نذهب في جولة بالسيارة إلى حيث كانت جبهات القتال ونستذكر الأيام الخوالي. وافق وسرعان ما انطلقنا إلى «مثلث

الحسينيّة». عندما مررنا بأحد المواقع، طلب منّي سعيد التوقف، وقال:

– حجت! يا لها من أيام مرّت علينا في هذا الموقع! هنا شهدتُ التضحيات والاستشهاد. أذكر أنّ مدفعيتنا كانت مستقرّة هنا أواخر أيام عمليات «كربلاء 5». في تلك الأيام كان ضغط العمل كبيرًا وحرارة طقس خوزستان مهلكة. صار الشباب يتقيّأون دمًا لكثرة ما حملوا من صواريخ، وقد انتشر بينهم الإصابة بديسك العمود الفقري. كان التعبويّون شبّانًا وشيوخًا، السمينون والنحيلون، يرفعون صواريخ الكاتيوشيا التي تزن (60كلغ) حوالي مترين عن الأرض ويضعونها في السبطانة في ظلّ أوضاع صعبة وقصف متواصل لمدفعية العدو وطائراته. حتى أنهم أثناء القصف الكيميائي كانوا يضعون الكمامات ويتابعون عملهم. منتصف تلك الليلة، كان الإخوة نائمين بعد يوم طويل من إطلاق الصواريخ استمر حتى الساعة 11:30 ليلًا. كنت مستلقيًا وحدي في دشمة الاتصالات أفكر بالمستقبل والماضي، عندما سمعتُ صوت جهاز اللاسلكي الذي لم يطُل صمته كثيرًا، فقد أعطاني قسم التنسيق الإحداثيات لإطلاق الصواريخ.

دوّنت الإحداثيات وقلت لهم: «ابقوا على السمع، سأُعلمكم متى جَهزنا». خرجتُ من الدشمة وكان الليل باردًا منعشًا ويضيء سماء «شلمشة»[1] المرصّعة بالنجوم، انفجار القنابل المضيئة لكلا الطرفين، وتُسمع أصوات انفجار القذائف بين الحين والآخر. ذهبتُ أوّلًا إلى دشمة الإخوة المسؤولين عن تلقيم الكاتيوشيا، فكانوا نيامًا وبعضهم قد دسّ رأسه تحت البطانية هربًا من

1 – shalamcheh

بعوض الجنوب المتوحّش. سرحت في تأمل وجوهم المتعبة المنهكة، وعدت إلى رشدي على صوت انفجار. لم يطاوعني قلبي لإيقاظهم فأغلقت باب الدشمة واتجهت نحو دشمة المسعفين الذين لم يكونوا أفضل حالًا من الإخوة المسؤولين عن تلقيم الكاتيوشيا. صحيح أنّ مهمتهم الإسعاف، لكنهم كانوا يساعدون في إفراغ حمولات الذخيرة والعتاد وفي تلقيم [تذخير] السلاح والصواريخ. عندها خطرت ببالي فكرة واتجهت نحو منصة الكاتيوشيا.. الحمد لله، كانت ملقّمة بالصواريخ، فأسرعت إلى دشمة مطلقي النار وحاولت إيقاظ الأقرب إلى الباب. ناديته فلم يستيقظ، انحنيت وهززته بيدي دون جدوى، ركلته بقدمي ركلات خفيفة على ظهره، لكن لا حياة لمن تنادي! عندها حملته من حزامه وجررته نحو الماء، فتحت حنفية (صنبور) الصهريج ورششت الماء على وجهه بقبضتي حتى استيقظ. ثم عدت إلى دشمة الاتصالات للعمل على مخطّط إطلاق النار وتصحيح الإحداثيات وتحديد الزوايا وإعطائها للأخ المسؤول عن الإطلاق. هناك طابقت الإحداثيات المطلوبة على طاولة التخطيط وحصلت على زاوية وجهة الهدف[1]. كانت وسيلة التواصل بيننا وبين الإخوة في منصة الإطلاق هاتف سلكي، لكن مهما اتصلت لم ألقَ جوابًا. اضطررت عندها للذهاب بنفسي إلى هناك لمعرفة ما يجري، لأتفاجأ بمسؤول الإطلاق، ولشدة التعب، نائمًا على الأرض قرب العجلة الخلفية للمنصة. أيقظته رغم شفقتي عليه وأعطيته الإحداثيات لتنظيم زاوية الإطلاق ثم قلت له: «لا

1 - يُقال أيضًا: السمت والمرفاع؛ زاوية الاتجاه وزاوية الرمي.

تعـد للنوم ثانية يـا «مشتي»[1]!» عدتُ بسرعـة إلى الدشمة، اتصلت بقسم التنسيق وأخبرتهم أننا جاهزون للإطلاق، وبناءً على طلبهم اتصلت بمنصة الإطلاق وقلت له: «اثنان يا مهدي!» فجاء الجواب: «روحـي فداء للمهـدي» وسُمع صفير صاروخَـيّ كاتيوشيا يشقّان عنان السماء نحو أهداف عدوة. كنت أنتظر الأوامر التالية، عندما فُتـح باب الدشمة ودخـل عناصر الإشارة[2] وتوجيـه المدفعية وقالوا لي: «عافـاك الله يا سعيد، هـا قد جئنا فاذهب أنـت». ذهبت إلى المنصة ورأيت أن جميـع الإخوة، بعد سماعهم صفير الصاروخين، قـد استيقظوا وحضـروا إلى مواقعهم، فطأطـأت رأسي خجلاً من تضحيـات وإيثـار هـؤلاء التعبويـين المجهولين الذين حضـروا إلى المنصة وعملوا بتواضع وصمت..».

بعد أن أنهى سعيد كلامه، تابعنا طريقنا نحو مثلث الحسينية.

1 - مشتـي مخفـف مشهـدي أي مـن زار مقـام الإمـام الرضا (ع) فـي مشهد المقدسة، تماما كما يقال حاج لمن حج بيت الله الحرام (المترجم)

2 - أي: عاملو الاتصالات السلكية او اللاسلكية..

رمضان علي

«رمضـــان علـــي»[1] ، شاب نشيــط سريع البديهة، شجــاع لا يهاب شيئًا، وفي نفس الوقت متواضع، تمكن من جذب أنظار الجميع إليه منذ اليوم الأول لانضمامه إلى مجموعتنا. كان حسنًا في كل الأمور، حسن الخلق، حسن المعشر وحســن الإدراك وحسن الصوت أيضًا. باختصار، كان شخصية كاملة. أحيانًا، عندما يختلي بنفسه يطلق لحنجرته العنان فيطرب أسماع من حوله. لكن عندما ينتبه، ينهض مــن مكانه ويذهــب ليجلس خلــف الخيمة أو خلــف الساتر الترابي ضامًّا ركبتيه إليه ويغرق بأفكاره وذاته مجدّدًا. في أحد الأيام، خرج الجميع من الخيمة ولم يبقَ فيها غيري أنا وعلي رمضان. كنّا نتبادل أطراف الحديث إلى أن قلت له:

- سمعت أنّ لديك ابنة صغيرة وجميلة.

أطرق برأسه ولم يجب، فتابعت بلجاجة:

- لا بد وأنك تحمل صورتها في محفظتك، دعني أراها.

هنــا رفع رأسه بهــدوء وقد ارتسمت على شفتيــه ابتسامة عذبة وقال:

- أجل لديّ ابنة وجميلة جدًّا أيضًا! لكنني لا أحمل صورتها معي

1 - رمضان علي تقي زاده

مخافـة أن ينزغني من الشيطـان نزغ فيدفعنـي للتفكير بالزوجة والابنة ويصرفني عن القيام بواجبي.

ثم غيّر مسار الحديث بسرعة وتركني مندهشًا لكل ذلك التفاني.

كان الجميع يتحدّث بإعجاب عن همّة واستعداد «رمضان علي»، وقد وُفّقت للعمل معه في أحد أبراج الرصد.

يرتفـع برج الرصد الذي كنّـا نعمل فيه حوالي 20 مترًا، ويقع في الضلع الغربي لجزيرة مجنون على مسافة 4كلم من الخط الأمامي للعراقيّين، وبالتالي كان في مرمى مدافع هاون (120 ملم). في أحد الأيام، بعد صلاة الصبح قلت لـ«رمضان علي»:

- ما رأيك بتلاوة زيارة عاشوراء؟

ابتسم وقال:

- توكّل على الله.

بعد قراءة الزيارة وتناول طعام الفطور الذي كان عبارة عن خبز يابس مع الشاي والجبن، توضأنا وصعدنا أعلى البرج[1]. كانت الرؤية واضحـة، وبعد تفحّص المنطقة لفتني وجود مقرّ للعدو يضمّ أعمدة اتصال مرتفعة، ما يدلّ على أهميته. وكان في موقف السيارات عدد من سيارات الجيب المخصّصة للقادة إلى جانب سيارة «ستيشين»، أشرت ناحية الهدف وقلت لـ«رمضان علي»:

- حسنًا، ما رأيك؟

أجاب بعد أن ألقى نظرة إلى المقرّ عبر المنظار:

- يبـدو أنّ قـادة المنطقـة في اجتمـاع، ويجـب أن لا نضيّع هذه

1 - كعادة جميع أفراد المجموعة، يتوضّأون قبل الصعود إلى أعلى البرج.

الفرصة من أيدينا.

- إذًا لا تضيّع الوقت واعطني الإحداثيات لندمره.

بعـد الحصول علـى الإحداثيـات وتقدير المسافـة ومشخّصات المقرّ، اتصلنا بقسم التنسيق تمهيدًا لتنفيذ المهمّة.

نظرًا لأهميّة الهدف، طلبنا مدفعي هويترز (155ملم)، مدفعي (203ملم) وقاذفتي كاتيوشيا. بعد الاطّلاع على مشخّصات الهدف، أرسل قسم التنسيق الإحداثيات مباشرةً إلى 3 بطاريات إطلاق: ياسر، وحمزة وعمار لتنفيذ المهمة. في تلك الأثناء، كان «رمضان علي» يراقب المقرّ عبر المنظار ورأى دخول عدد آخر من سيارات الجيب إلى المكان. عندها ازددنا شوقًا وحماسةً لبدء إطلاق النار. كانت بطارية ياسر (مدفع 203) أوّل من أعلنت جهوزيّتها، فأعطى «رمضان علي» أمر إطلاق النار بنداء «اللّه أكبر». وانطلقت أول قذيفة 203 ملم. تصفر نحو المقرّ وسقطت على مسافة 700م منه. تشاورت مع رمضان علي وأعطينا تصحيح الإحداثيات لبطارية ياسر، فانطلقت القذيفة الثانية لتسقط على امتداده. عندها قلت لرمضان: «يجب أن تسقط القذائف وسط المقر لا في محيطه، ولو صحّحنا المسار وأضفنا 500 إلى الإحداثيات سيكون لنا ذلك، ولنعطِ الإحداثيات نفسها لبطاريتي حمزة وعمار لقصف المكان ذاته، وبعد إعطاء التصحيح النهائي نُطبق على قادة العدو ونقطع عليهم طريق الهرب».

وافق «رمضان علي» على الخطة، فأسرعت إلى جهاز اللاسلكي وقلت:

- سلمت يداك عزيزي ياسر، أضف 500 ونظم جهة وزاوية هذا الكشكول (أي المدفع) على ذلك الكشكول واللّه أكبر معنا، مفهوم؟

- وجاء الجواب: «مفهوم، حاضر (على عيني)».

انتظرنا إعلان عمار وحمزة الجهوزية، وهذه المرة أعلن حمزة جهوزيته، فأطلق صاروخي كاتيوشيا مع كلمة «اللّه أكبر». وسقط أحد الصاروخين على بعد 300م والآخر على بعد 450م يمين المقر. أجرينا حساب المسافة بين الصاروخين وأعطينا إحداثيات 350 نحو اليسار. وفي الأمر التالي أنقصنا 300 من الإحداثيات لبطارية حمزة. بعد دقائق أعلن عمار جهوزيته، وبنداء «يا حسين» انطلقت القذيفة الثالثة والرابعة اللتان سقطتا خلف المقر. فأعطينا لبطارية حمزة الأمر ذاته الذي كنا قد أعطيناه لبطارية ياسر. قلت:

- عزيزي حمزة، رميتك جيدة، أحسنت، والآن سدّد على 350 لجهة اليسار ونظم الزاوية الجديدة على الاثنين، و«اللّه أكبر» معنا. مفهوم؟

- وجاء ردّ بطارية حمزة: «الأمر أمرك، حاضر».

وخزتني عيناي من شدة التعب فقلت لـ«رمضان علي»: «هيا أعطِ الإحداثيات لعمار». وكعادته قال بابتسامته المعهودة ووجهه البشوش: «حاضر».

حمل سمّاعة جهاز اللاسلكي بيده ووقف خلف المنظار وبعد أن أعطى التعليمات لبطارية عمار، قرأ الآية الشريفة: «وما رميت إذ رميت».. ثم أعطى الأمر بإطلاق النار. سقطت القذيفة على بعد 200م من ساتر المقر الترابي، فأعطاهم تصحيح المسار، إضافة 240 للأعلى. وطلب استخدام القذائف ذات الصمام الزمني. بعد لحظة وبنداء «اللّه أكبر» من «رمضان علي» انطلقت قذيفة بطارية عمار وسقطت على مسافة 30م في محيط المقرّ. قال «رمضان علي»: «حجت

يا حجت! لقد خرجوا، إما أنّ اجتماعهم قد انتهى أو أنهم أدركوا أننا نقصفهم، أسرع واطلب من البطاريات مواصلة إطلاق النار».

رفعت سماعة جهاز اللاسلكي التي كانت بيد «رمضان علي» قبل قليل وأعطيت الأوامر لبطاريات ياسر وعمار وحمزة بإطلاق النار ما استطاعوا دون توقف حتى إشعار آخر. بعد أقل من 3 دقائق، انهمرت قذائف وصواريخ البطاريات الثلاث على المقرّ؛ قذائف بطارية ياسر (مدفع 203ملم) ذات الصمام التأخيري، قذائف بطارية عمار (مدفع 155ملم) ذات الصمّام الزماني، وبطارية حمزة (كاتيوشيا) بحجم إطلاق نار عادي.

في غمضة عين، انقلب الوضع في المقر رأسًا على عقب. وبإذن الله تمكنّا من إظهار جانب من قدرات مدفعية جيش الإسلام في مقابل العدو البعثي. عندها بدأت قذائف وقنابل الأعداء تنصب علينا. كنت أراقب مقرّ الأعداء بالمنظار، فسقطت قذيفة (203)، من قذائفنا، في موقف سياراتهم ما أدّى إلى احتراق عدد من السيارات وإعطاب عدد آخر. حينها يئس العناصر الذين كانوا يحاولون الوصول للسيارات والهرب وغيّروا وجهتهم. بعد لحظات، أصاب صاروخ كاتيوشيا المقرّ بالقرب من الساتر الترابي وتبع انفجاره المهيب تصاعد ألسنة اللهب في السماء. يبدو أنه أصاب صهريج البنزين.

أخبرنا البطاريات باحتراق السيارات وانفجار الصهريج، فارتفعت معنوياتهم وراحوا يعملون بجدٍّ أكبر.

مع مرور الوقت زادت دقّة قصف الأعداء علينا وقطعت أربعة من أسلاك البرج، كما انغرس عدد من الشظايا في ألواح حجرة

البرج ولم تصل إلينا.

كانـت القذائـف ذات الصمام الزمني تنفجـر في محيط المقرّ، ولم يبـقَ أحـد بمأمـن عنهـا، ولم ترحـم قذائف (203 ملـم) ذات الصمـام المضـاد للإسمنت والتأخيريّة أي من دشـم المقرّ فتهاوت أسقفها الواحدة تلو الأخرى. لقد زرعت صواريخ الكاتيوشيا الرعب في قلـوب البعثيّين العراقيّـين وباعتقـادي زاد خفقانها إلى 100 في الدقيقـة! عندما وجد العدو أنّ الهـاون والمدفع لا يؤثر بنا، لجأ إلى الدبابـة مستهدفًـا حجرة برج المراقبـة. لكننا أيضًـا لم نوفّر أمرًا واستقدمنـا بطارية مدفـع (130ملم) فزدنا حجـم نيراننا ورددنا على مصادر نيرانهم بقوة.

أدرك بـرج المراقبة المجـاور لنا وضعنا الحـرج وعمل على الردّ على مصادر نيران العدو ممّا خفّف من دقّة وحجم قصف «الإخوة البعثيّين الخونة» لنا!

حـوالي الساعـة 11 ظهرًا؛ وبعد تدمير الهـدف وتضعضع قوات العـدو، وبعـد أن أُنهك الإخـوة عند منصات الإطـلاق وحلول أذان الظهـر، أعطينا الأوامر بوقف إطلاق النـار ونزلنا من على البرج. أثنـاء النـزول، رأيت أنّ 6 مـن الأسلاك المثبّتة للـبرج قد انقطعت وأصيبت أعمدته بالشظايا.

صبـاح اليوم التالي، عندما استطلعت مقـرّ العدو، لم أرَ فيه أيّ أثر؛ لا لهوائي اللاسلكي ولا للسيارات، وانعدمت الحركة فيه تمامًا.

أذكـر أنّ «رمضان علي» وُلد في أوّل أيـام شهر رمضان من عام 1342هـ.ش. الموافـق لعـام 1964م؛ واستشهـد في أول أيـام شهـر رمضان من عام 1365هـ.ش الموافق لعام 1984م.

أنا لست منافقًا[1]

وصلنــا إلى «باخــتران» حوالي الساعــة 6 عصرًا. بعــد التجوّل في المدينــة، ذهبنــا إلى بلــدة «آناهيتــا» محل تجمع فرقــة «حضرة الرســول ﷺ 27». هناك، وصلنا الليل بالصبــح إلى جانب الإخوة في كتيبــة كميــل، وكانت محطّتنــا التاليــة في بلدة الشهيــد «مفتح» في مكتب مقرّ رمضان.

عنــد الساعة 8 من صبــاح 7-3-1988م، كنت أنتظر الأخ مقدّم قائــد «لواء مظفــر 75» في مكتب المقرّ. بعــد وصوله بدقائق، ذهبت وإيــاه إلى غرفــة التخطيــط والعمليات، ورافقنا كل مــن «ريفندي، ايرفاني، وقرباني وكاشي زاده»، الذين جئت معهم إلى «باختران». تحلّقنا حول الخريطة وراح الحاج مقدم يشرح لنا محاور العمليات، ومحــاور التسلّل ومهمتنا. تقرّر أن يتسلّل كل من «قرباني وايرفاني» عــبر «مريفان دزلي» إلى منطقة العدو ويتجها نحو مدينة «خرمال» لضرب أهداف جنوب مدينة «حلبجه»، بينما أذهب أنا وكاظم كاشي

1 - أنقل هاتين الذكريَين «أنا لست منافقًا» و«الدبّ» عن لسان اثنين من عناصر استطــلاع ورصد العمليات في لواء «خاتم الأنبيــاء63» للمدفعية. وهما تعبويّان تزامنــت أواخر أيــام خدمتهمــا العسكرية -التــي استمرّت لمــدة عامين- مع عمليــات «والفجر10». الذكرى الأولى أنقلها عن لسان «جواد محمدي» والذكرى الثانية عن لسان «كاظم كاشي زاده». اللذين تحدثا عن تسلل فريق الرصد إلى خلف خطوط العدو.

زاده عـبر «سيمان[1]-تشنار[2]» وجبل «بالامبـو» نحو حلبجة لنضرب أهدافًا شمال المدينة. أما الفريق الثالث المؤلف من «شاملو والحاج ميثم» فعليهما الانطلاق برفقـة الإخوة في مقر رمضان إلى منطقة العدو عبر سفح جبل «غزيلة[3]» ويتعاونا مع عناصر الأخ أفشار قائد كتيبـة الإمام الصادق عليه السلام لمدفعيـة (130ملم)، في السيطرة على مرابض مدفعية العدو المتمركزة في قرية «دالامار»، ومن ثم توجيه فوّهاتها نحو خطوطهم الخلفية وقصفها.

حصـل كل واحـد منّا علـى زيّ كرديّ مـع شال وقبّعتـه. انطلق قرباني وإيرفاني برفقة الأخ «ريفندي» نحو «مريفان»، بينما ذهبت أنـا وكاظم إلى مسجد النبي الكائـن في «طاق بستان» في باختران، حيـث التقينـا الحـاج ميثـم وشاملو. وهنـاك، تآخـى كل اثنين مع بعضهمـا البعض. يوم الخميـس 10-3-1988م انطلقنـا بالحافلة برفقـة الإخوة من وحـدة المدفعيّة بعد إعادة تنظيمهـم [توزيعهم] إلى بافـة التي لم نصل إليها إلا بعد حلول الظلام، نزلنا في مسجد «أبـا عبد الله عليه السلام» بعـد الصلاة وتنـاول العشاء، شـرح لنا قائد «لـواء ظفر75» خطة عمل مقرّ رمضان، منطقة العمليات، الأهداف ومحاور التسلّل، ثم قال: «علينا الانتقام لكلّ أهلنا المظلومين الذين دمّرت صواريخ الأعداء مدنهم وبيوتهم، وأن نفرح قلب إمامنا».

وتطايـر شـرر الانتقـام المتأجّـج في صدورنا. بعد توزيـع العتاد والمؤونـة بـين العناصـر، انطلق شاملـو والحاج ميثم عنـد الساعة

1 - قرية في سفح جبل سرسروان.

2 - Tchenar: قرية في سفح جبل بالامبو.

3 - Gazeleh

12 منتصـف الليـل برفقة وحدة المدفعية وعدد مـن الإخوة في مقر رمضان إلى منطقة العمليات.

في صباح يوم 12-3-1988، أيقظنا الأخ «بيات»، وهو من عناصر استطـلاع العمليات في «لواء ظفر 75»، عنـد الساعة الرابعة فجرًا قائلًا: «هيا انهضوا لننطلق».

بعد حوالي الساعة، ركبنا سيارة استيشن إلى منطقة العمليات. وصلنـا السـاعـة 7 صباحًا إلى قرية سيمـان الواقعة على سفح جبل «سرسُرفان». ومـن هناك سرنا نحو نهـر «آفسيرفان» الذي يشكل جزءًا من الحدود الإيرانيّة العراقية. عبرنا جسر المشاة الذي ركّبه الإخـوة في جهاد البناء نحو جبال بالامبو ودخلنا الأراضي العراقيّة حيث نزلنـا في قرية «تشنار» المهجورة. بعد الصلاة وتناول الغداء، انطلق الأخ بيات مع عدد من العناصر، بينما تقرّر موعد حركتنا أنا وكاظم مع باقي العناصر عند الساعة 5 من بعد الظهر.

قبيـل أذان المغـرب وصلنـا إلى قريـة «مردين» المهجـورة حيث تمركز بها عدد من الإخوة من مقر رمضان، لواء ظفر 75 ومجموعة من البشمركة الأكراد العراقيّين المتعاونين معنا، وكانوا بقيادة الأخ كمـال. تابعنا سيرنـا بعد الصـلاة، فقطعنا جبـال بالامبو وجبال «مَكر» ووصلنا إلى قريـة «باموك» الواقعة على بعد عدة كيلومترات من مدينة «حلبجة». بعد استراحة قصيرة اتجهنا نزولًا نحو مدينة «حلبجة»، ووصلنا إليها الساعة 12 منتصف الليل.

كنّا قد سرنـا حوالي 8 ساعات متواصلة دون استراحة، قاطعين الجبـال والوديـان، حاملين الجعب والأثقـال إلى أن وصلنا المدينة، وذهبنـا إلى المسجـد الجامـع لحلبجـة الواقع بالقـرب مـن أحد

المصانـع. تـوزع الإخوة إلى عـدة مجموعات وتسلّلـوا داخل المدينة كـي يتمكنـوا في آن واحد، عند بـدء العمليات مـن تدمير الأهداف العسكرية ومواقع جيش الأعداء ومحطات المحروقات.

عند الساعـة الواحدة ليلًا، بدأت المعركـة في المدينة تزامنًا مع بـدء العمليـات. كان تبادل إطـلاق النيران واضحًا فـوق مرتفعات بالامبـو. بعد نصف ساعة، عادت جميـع الفرق إلى المسجد بعد أن تمكنـت مـن تدمير أهدافها وقـد أُصيب أحد الإخـوة برصاصة في القـدم لكنه نجا بمساعدة أهل المدينة. عند الساعة الثانية من بعد منتصـف الليل، تنفيذًا لأوامر كمـال وقفنا في رتلٍ وغادرنا المدينة. في الطريـق، قلت لكمال: «كان من المقرّر أن نبقى في محيط المدينة ونعمـل علـى إعطـاء الإحداثيات لمرابضـ مدفعيتنا». فقـال: «لقد تغيّرت الخطة فالمكان غير مناسب للبقاء».

حوالي الساعة 6 صباح يوم 13-3-1988م، وصلنا إلى قرية «خَل همه» المهجورة الواقعة على مسافة 4 كلم من مدينة «خرمال».

فتحت الخريطة وحددت مـكان تمركزنا عليها. أردت أن أتسلّق إحـدى التلال وأعطي الإحداثيات لمدفعيتنا، لكن الأخ بيات قال لي: «المنطقـة غير آمنة (ملوّثة)، انتظر حتـى الساعة 11 فنذهب سويًّا في مهمة على إحدى تلك التلال».

في غضون ذلـك، كانت مروحيّات وطائـرات pc7 المعادية، التي تتمتّـع بقدرة عالية علـى المناورة، تحلّق في سمـاء المنطقة، وأحيانًا كانت تطلـق القنابل والصواريخ. لقد حلّقت فـوق رؤوسنا أكثر من مرة، لكن الله شاء أن لا تكشف أمرنا.

عنـد الساعة 11، ذهب كاظم مع ثلاثة من الإخوة الأكراد وأحد

عناصـر الاستطلاع إلى إحدى التلال لإعطـاء إحداثيات الأهداف المقرّرة لمرابض مدفعيتنا، لكنهم عادوا بعد مدة وجيزة. قال كاظم: «لا يمكن فعل شيء في الوقت الحاضر، سنذهب سويًّا بعد الظهر».

بعـد الظهر، ذهبت أنا وكاظم مـع ثلاثة عناصر من البيشمركة الأكـراد إلى تـلّ يسمّـى تل «كـوره» ويقع على بعـد 2000م من قرية «خَـل همه». كان تحليق المروحيات المعادية مـا يزال كثيفًا في سماء المنطقـة، ما أدّى إلى تقيّد حركتنـا. لكننا تمكّنا من توجيه النيران ناحية ثكنة «زمقي خوارو»، والطريق المؤدية إلى حلبجة، وبحمد اللّٰه أنزلنا خسائر كبيرة في صفوف الأعداء.

قبيـل الغروب، تركنـا المكان واتجهنا نحو قريـة «خل همه» التي وصلنـا إليها بعد هبوط الظـلام. كان الإخوة خلال فترة غيابنا قد ذهبوا في دوريّة وأسروا بعض الجنود العراقيّين. بعد صلاتي المغرب والعشاء أعطى الأخ كمال الأمر بالانطلاق نحو مدينة «خرمال».

سرنـا دون توقـف حتـى الساعة الواحـدة بعد منتصـف الليل، ومررنـا خلال الطريق بنهريـن غزيرَيِّ المياه نسبيًّـا. هناك أُعطي الأمـر بالاستراحـة. ولشـدة ما نالني مـن التعب والـبرد والعطش والجوع غططت بسبـاتٍ عميق لم أفق منه إلا بعد رحيل الرتل. كان التعـب قد نال مني ومهمـا حاولت الاستيقاظ لم أُفلـح. أثقل النوم جفنـي فاستسلمت له من جديد. آخر مرة استيقظت فيها كان عند انبلاج الفجـر، فنهضت وصلّيت الصبح تحـت شجرة قريبة منّي. ربمـا كان السير مسافة 40كلم مع كل هـذا العتاد وجهاز اللاسلكي والجوع والتعب هو العذر لهذا النوم الثقيل. كان معي جهاز لاسلكي، قطعـة سلاح وبوصلـة. عندما طلـع الصباح، حـدّدت جهة الشرق

بالبوصلة وانطلقت. بعد مدة من السير وصلت إلى حقل ألغام يليه متاريس بدت خالية. قرأت آية الكرسي وآية السدّ، ثم خطوت أول خطوة في حقل الألغام وعبرته بسلام.

مررت بالمتاريس الخاوية وتابعت سيري بهدوء، وإذ بإطلاق رصاص نحوي من الخلف. التفتّ لأرى 4 أشخاص يلحقون بي ويقولون أشياء باللغة العربيّة، فأطلقت العنان لقدمي وعدوت بأقصى ما عندي من قوة. لكنهم لم يتوقفوا عن إطلاق النار صوبي، وكي أخفّف من حمولتي رميت بجهاز اللاسلكي على الأرض وأطلقت عليه الرصاص لكي لا يقع بيد الأعداء سالمًا، ثم أطلقت النار نحو الجنود العراقيّين وتابعت الركض بأقصى سرعة إلى أن غبت عن أنظارهم.

أنهكني الجوع فأكلت بعض نباتات أرض العراق، ثم تابعت السير إلى أن وصلت إلى جبال مغطاة بالثلوج اعتقدت أنها جبال «أورامانات». بعد مسافة من المشي وصلت إلى بضع شجرات، عندها بدأ إطلاق الرصاص نحوي ثانيةً، لكن من أين؟ لم أستطع تمييز الجهة. اختبأت بين الأشجار وكان قد مرّ وقت صلاة الظهيرة، فتوسّلت بالصلاة والدعاء بالنجاة: «إلهي ساعدني!» بعد عدة دقائق أصبح الجو ضبابيًّا فحجب عنّي أبصار الأعداء. «شكرًا لك يا اللّه!»، واغتنمتها فرصة للهرب ناحية الجبل المغطّى بالثلوج الواقع لجهة الشرق.

كان الوقت قرابة الظهيرة عندما بدأت أتسلّق سفح الجبل. كانت قدماي تغرقان حتى الركبتين في الثلج ولا أدري ما العمل لأسدّ جوعي، رحت أتناول الثلج وأتابع سيري. حوالي الساعة الخامسة

صـــار الثلــج يغمرني حتى خاصرتــي ممّا أعاق حركتــي كثيرًا. بعد قليل، سمعت صوت غناء رجل قادم من جهة اليمين فظننت أنه من الأكراد المعارضين لنظام صدام. ناديته عدة مرات فانتبه لوجودي. طلبت منه المساعدة فردّ عليّ باللغة الكرديّة، لكن بعد دقائق نادوني عــبر مكبّر الصوت وباللغة العربيّة: «تعال تعال». ما أن أدركت أنهم عراقيّــون حتى اختبأت خلف صخرة. لم يكن بي رمق للفرار كما لم يكــن الظرف مؤاتيًا لذلك. مزّقت دليــل استخدام جهاز اللاسلكي وجميع وثائقي ودفنتها تحت الثلج، فالويل لي إن علموا أنّني راصد!

رويــدًا رويدًا ضاقت المسافة بيني وبينهم. كانوا يقولون: «الإمام الخميني، الجمهوريّة الإسلاميّة، يا محمد يا علي يا حسين». ظننت لوهلــة أنهم مــن المعارضين الأكــراد. لكن عندما دنــوا منّي ورأيت زيّهــم العراقــي أيقنت أنهــم بعثيّون. ما إن وصلــوا إليّ حتى أخذوا سلاحــي وذخيرتي، ثم اقتادوني إلى قائد معسكرهم. ولأنه لم يكن معهم مترجم، لم يستطيعوا الحصول مني على أي معلومات.

بعد حوالي ساعة أرسلــوني مع عدد من الحرّاس إلى مقرّ آخر، عرفــت فيما بعد أنّه مقرّ اللواء. كان طعــام العشاء يومها الدجاج؛ ولكــي أثق بهم أعطوني عشاءً مناسبًا ليلتها. بعد تناول العشاء بدأ التحقيق. سألوني بدايةً عن اسمي ومحلّ عملي، فقلت لهم: «اسمي جــواد محمدي، وأنا جنــدي في خدمة العلم من طهــران، ثكنة ولي عصر وأعمل سائقًا».

– إذًا ماذا تفعل هنا باللباس الكردي؟

– يخــدم أحــد أصدقائــي في دزلي– مريفــان وجئــت لزيارته. أخــبروني أنه علــيّ الذهاب إلى تلك المنطقــة باللباس الكردي، لذا

اشتريت هذا الزيّ من مدينة باختران وجئت ليلًا إلى هنا فأضعت الطريق، وبعد أن سرت مدة من الزمن وصلت إلى مقرّكم».

– ومن أين حصلت على السلاح؟

– من مسؤول التسليح الذي طلب منّي إرجاع السلاح بعد عودتي.

– متى جئت من طهران؟

– منذ 4 أيام.

– أين تسقط الصواريخ التي نرسلها إلى المدينة؟

– في الشارع، في المستشفى، في مشافي التوليد، في المدارس وغيرها.

– ألم تسقط في مراكز الحرس أو المراكز العسكريّة الأخرى؟

– لا لم يحدث ذلك.

– ألم تصادف في الطريق أي مقرّ أو مربض مدفعيّة أو موقع؟

– أنا أخدم في طهران ولا أعرف شيئًا من هذه الأمور وإلا لما وقعت بين أيديكم.

– كيف وصلت إلى هنا؟

– انتقلت بالحافلة من طهران إلى باختران، ومن ثم إلى بافه، ثم ركبت حافلة صغيرة «ميني باص» إلى مريفان. بعدها جئت بسيارة أجرة إلى هنا، وقالوا لي إن سألت أي شخص عن طريق دزلي فسيرشدني إليها، وكما ترون قد أضعت الطريق ووصلت إلى هنا.

كان في الغرفة صورة كبيرة لصدام، أشار المحقّق إليها ووجّه الإهانات للإمام الخميني. كنت أضع اسم صدام آخر كل جملة يقولها وأعيدها له. عندما أعطيتهم أجوبة حاسمة ورددت إليهم

إهاناتهم للإمام، قالوا: «أنت لست جنديًّا، أنت إما من الحرس إما تعبوي. فالجندي لا يتفوّه بهذا الكلام». ثم قالوا فيما بينهم وباللغة العربية: هذا تعبوي يحمل معه سبحة وخاتمًا وسجدة للصلاة.

استمرّ التحقيق حتى الساعة العاشرة والنصف ليلاً. لم أكن قد صلّيت بعد، ولم يسمحوا لي بالصلاة إلا بعد إصرار ولجاجة مني. وقالوا لي: «أنهِ صلاتك بسرعة، يجب أن نذهب إلى مقرّ الفرقة».

بعد الصلاة، انطلقنا برفقة حارسين وقطعنا طريقًا جبليّة صعودًا ونزولاً إلى أن وصلنا إلى أحد المقرّات. ومن هناك ركبنا سيارة إيفا. ولم تكد تنطلق حتى استسلمت لنوم عميق أيقظوني منه عندما وصلنا إلى المقرّ. هناك، أخذوني مباشرةً إلى دشمة القيادة حيث بدأ التحقيق ثانيةً. ما اسمك؟ عضو أي مؤسسة؟ من أين أحضرت السلاح؟ ماذا تفعل هنا..

أعطيتهم إجابات الليلة الماضية نفسها. كان في مكتب قيادة الفرقة رجل كردي يجيد اللغة الفارسية بطلاقة، وممّا صعّب عليّ الأمر أكثر أنه قال لقائد الفرقة: «هذا الصبي يجيد اللغة العربية، لكنه لا يريد الإجابة».

تقدم مني القائد النحيل الجسم والقاسي القلب ثم صفعني صفعةً قوية على وجهي وقال: «لمَ لا تتحدث باللغة العربية؟».

ثم راح يمطرني بأسئلته باللغة العربية، وعندما لم يلقَ جوابًا أخذ يصفعني على وجهي حتى احمرّ، ثم لجأ إلى المترجم وسألني: إلى أين تريد الذهاب؟

- إلى دزلي عند صديقي.

- سنأخذك إلى كربلاء، أولست تعشق كربلاء؟

ادّعيت السذاجة وأجبت:

– لا، نذهب أوّلًا إلى دزلي ومن ثم إلى كربلاء.

استمرّ التحقيق حتى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل دون أن يحصلوا على أي إجابة شافية. حينها قال القائد للمترجم: «هذا لن يجيب بهذه الطريقة. احبسوه واجلدوه إلى أن ينطق».

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما أوثقوا يديّ وقدميّ ووضعوني في غرفة باردة دون فراش أو بطانية.

صباح يوم 25 من شهر اسفند 15-3-1988 استيقظت على ركلات حذاء عسكري، وقد أخذتني غفوة حينها، إذ لا يمكن النوم في ذلك الجو البارد دون مدفأة أو بطانية ومع تلك القيود. فكّوا قيد يديّ وأخذوني إلى الفناء حيث أعطوني بعض الحلاوة الطحينيّة والخبز لطعام الفطور الذي تناولته تحت حراسة 4 جنود مسلّحين. بعد تناول طعام الفطور، قيّدوا يديّ مجدّدًا واقتادوني إلى الغرفة نفسها. بعد دقائق دخل أحدهم برفقة المترجم وبدأ الاستجواب مجدّدًا واستمرّ حتى الساعة 10 صباحًا. كانا يكرّران الأسئلة نفسها، وبدوري أكرّر الأجوبة ذاتها. ثم غادرا وبقيت وحدي حتى الساعة 12 ظهرًا. في تلك الأثناء حدثت حركة غريبة بين العراقيين، كانوا يركضون بهلع هنا وهناك. ظننت أنّ مقاتلينا قد توغلوا إلى هذه المنطقة لذا يحاولون الفرار ولا شكّ أنهم سيصوّبون إليّ رصاصة الخلاص.

كنت مستغرقًا بهذه الأفكار عندما فتح الباب ودخل إلى الغرفة آخر شخص استجوبني. فتّش جيوبي ولفت نظره الخاتم في إصبعي. حاول جاهدًا نزعه لكنه لم يفلح، إذ إنّ الخاتم قد التصق بإصبعي المتورم من شدة البرد. لم يهتم بألمي وصراخي ولما يأس من نزعه

تركني وخرج من الغرفة.

عند الساعة الواحدة من بعد الظهر، فتح الباب ودخل مسلّحان، أنهضاني عن الأرض وأخرجاني من الغرفة ثم ركبنا سيارة آيفا مع عدد من العناصر وانطلقنا. في الطريق عصبوا عينيّ بمنديل وكانت سيارة الآيفا تتوقف كل هُنيّة ثم تتابع سيرها ببطء شديد.

عند المغيب، شدّ انتباهي أنين الجالس بقربي. استعنت بالقضبان الحديديّة لسيارة الآيفا وأزحت المنديل عن عيني، فرأيت شابًا إيرانيًّا أسيرًا قد أُصيب في يده، وكان يطلب الماء باستمرار لكن العراقيّين لا يعيرونه أي اهتمام.

حلّ الظلام فصلّيت صلاتي المغرب والعشاء وأنا مقيّد في السيارة. بعد فترة قصيرة وبسبب التعب والجوع والعطش غلبني النعاس واستسلمت للنوم. كان البرد قارسًا، لذا كنت أستيقظ كل حين وأعود للنوم. عند الفجر صلّيت صلاة الصبح في السيارة أيضًا، وما إن أشرق الصباح، رأيت صفًّا من سيارات الجيب والتويوتا وسيارات الآيفا تسير خلف سيارتنا. بقينا حتى الساعة 12 من منتصف ليل 16-3-1988 نسير في رتل السيارات إلى أن وصلنا إلى أحد المقرّات. ترجلنا من السيارات وتابع الرتل سيره مشيًا على الأقدام وكنت أنا حافي القدمين. كانت الأرض مليئة بالأشواك والحجارة والطين والأسلاك الشائكة، وكنتُ أمشي بصعوبة كبيرة.

عند الصباح وصلنا إلى خط القوات العراقية. عندما رآنا الجنود العراقيون بدأوا بإطلاق النار نحونا إلى أن انتبهوا إلى أنّ الرتل من جنودهم. تابع الرتل سيره وخلال الطريق كانت القذائف المدفعيّة تنفجر على مسافة 700 أو 800م من مكاننا. كان العراقيّون

ينبطحـون أرضًا مع كل انفجار ويتعجّبون لعدم اكتراثنا أنا والأسير الإيراني الثاني للأمر.

بعد أن قطعنا عددًا من التلال الصغيرة، وصلنا إلى سهل مستوٍ. كانـت مدينـة حلبجة عن يسـاري، ومدينة «دوجيلـه» وثكنة «زمقي خـوارو» عن يميني. في الطريق صادفنا سيارة جيب عراقيّة قد قُتل جميـع ركابها بالرصاص، وعلـى بعد خطوات منهـا رأيت متاريس مدمّرة قد تساقطت جثث الجنود العراقيّين من حولها.

أشـار الوضع إلى وقوع معارك في تلـك المنطقة، وكان أمامنا تلّ علينا عبوره. لكن ما إن وصلنا إليه حتى فرّ جميع الجنود العراقيّين بمن فيهم حراسنا. عندمـا وصلت أعلى التل رأيت عناصر مسلّحة ترتدي معاطف المطر وتتجه نحونا.

كانـت قواتنا قد حرّرت هذه المنطقة منذ وقت طويل، لكن هؤلاء الجنـود البعثيـون تعيسي الحظّ لم يكونـوا يعلمون أنهـم حوصروا من قبل قوات جيشـ الإسلام. تنفست الصعداء لولادتي الجديدة. لكـنّ معاناتي بدأت من جديد مـع وصول عناصرنا: لمَ أرتدي الزيّ الكردي؟ ولمَ لا أحمل أي وثائق تدلّ على أنني راصد متسلّل؟

حدّثتهـم بمـا جرى معي، لكنهـم لم يعيروا كلامـي أيّ اهتمام. أوثقوا قيد يدي وقالوا لي: «أنت كاذب حتمًا. أنت من المنافقين لذلك تجيد اللغة الفارسيّة، وعلاوةً على ذلك ترتدي اللباس الكردي!»

يـا لهذه الورطة! سرت مع الأسـرى العراقيّين مقيّد اليدين فيما هـم لم يكونـوا كذلك. بعد مدة وصلنـا إلى ساتر ترابـي يقع خلفه مربضـ مدفعيـة (130ملـم) تابعة لفرقـة الإمـام الحسين عليه السلام، وقائـده يُدعى «مرتضـى جمشيديان». توقفنا مـدة قصيرة هناك،

فاستغليت الفرصة وأخبرته بما جرى معي، فقال لي: «سيأخذونك مع الأسرى العراقيّين إلى مقرّ الفرقة وهناك يُحدّد مصيرك».

وصلنا إلى مقر الفرقة حيث أخذوني إلى الأخ زاهدي وبعد الاتصال بالمقر التكتيكي للواء 63، تأكّدوا أنني راصد تابع للواء «خاتم الأنبياء63ﷺ»، ففكّوا وثاقي.

أعطوني ملابس جديدة، وسلاحًا وسيارة. وصلت ليلة 27 اسفند (17-3-1988) إلى الخطوط الخلفيّة لوحدتنا حيث انشغلت بقصّ ما جرى لي للأخوة .

الدب[1]

أكثر من 30 ساعـة ونحن نزحف في الجبال والوديان، فقد كُلّف فريقنـا بالتسلّـل إلى الخطـوط الخلفيّة للجيشـ العراقي، ومن ثم إعطـاء إحداثيات عن مواقعه لمرابضـ مدفعيتنا في مقر «رمضان» تمهيـدًا لدكّهـا. توقفنا قليلًا للاستراحة، لكن لشـدة التعب والحرّ والجـوع، غفـوت ولم أستيقـظ إلا عنـد الساعـة الثانيـة والنصف لأجـدني وحيـدًا في ظلام تلك الجبال الدامسـ. بحثتُ هنا وهناك عـن الرتل لكـن دون جـدوى وكأنّ الأرض قـد انشقـت وابتلعتهم. اخـترت جهةً وسرت. بعـد مدة، وصلت إلى مفـترق طرق فاخترت جهة اليمين وتابعت سيري. عندما وصلت إلى أحد الجبال، اخترت الشـق الأنسب وبدأت التسلّـق. عند الساعة الرابعـة صباحًا، لفت سمعي صوت خرير المياه الذي أضفى أجواء خاصة على تلك الطبيعة الجبليّـة. ذهبـت ناحية الصـوت، فوصلت إلى ساقية مـاء ضيّقة. كنت أشرب الماء عندمـا سمعت صوت خشخشة. رفعت رأسي لأرى شبحين أبيضين علـى مسافة 20م مني. تسمّرت في مكاني وقلت في نفسي: «من المؤكد أنني أتوهم بسبب التعب والجوع».

فركت عينـيّ وحملقت، فرأيت الشبحـين نفسهما. رششت الماء علـى وجهي. أجل، لسـت واهمًا، إنهمـا دبّان كبـيران أبيضا اللون

1- رواية كاظم كاشى زاده.

يحملقان بي. لا أدري لمَ لم يهاجماني، إنها مشيئة الله حتمًا.

بهـدوء ودون أي جلبة، سـرت القهقرى. ومـا إن ابتعدتُ عنهما مسافة كافية حتى أدبرتُ مسرعًا ولذت بالفرار.

بسبـب ملابسـي المبلّلة بأمطـار الليـل، وهواء الجبـال البارد، انخفضت درجة حرارة جسمي إلى حدّ التجمّد. عندما كنت أركض فرارًا من الدبّين، لمحت بطانية كبيرة بنّية اللون ملقاة على الأرض. سُـررت لأني سأتمكن من تدفئـة جسمي بها، لكن ما أن رفعتها عن الأرض حتى تجمدت في مكاني؛ كان تحتها أربع جثث مكوّمة! رميت البطانية وأدبرت مسرعًا مجدّدًا. لقد رأيت الكثير من جثث الموتى، ولم يكن بالأمر المستهجن، لكن رؤيتي لها تلك الليلة وفي تلك الجبال المغطّاة بالثلوج، وبعد لقائي بالدبّين، كان له وقعٌ آخر.

بعـد أن ابتعدتُ عن الجثث، جلست تحت شجرة ألتقطُ أنفاسي، ثـم صلّيـت صلاة الصبـح. قبيـل الشـروق، نمت حـوالي الساعة لأستيقـظ مع انبـلاج الضوء. استطعت رؤية موقـع على بعد 500 م عن يساري، وآخر على نفس المسافة عن يميني.

قلـت في نفسـي: «تمكّنت أخيرًا مـن الوصول إلى موقـع قواتنا، ثم بـدأت بالصراخ. لكـن أحدًا لم يسمع ندائـي. عجزت عن قطع هـذه المسافة من شدة التعب. بعد نصـف ساعة، رأيت أحد الإخوة مـن موقع جهة اليمين يتّجه نحـوي، فتنفست الصعداء، لقد انتهت معاناتي في لحظة، فتملّكني شعـور لطيف. كدت أرقص فرحًا، إلى أن وصـل إلى مسافة 15م من مـكاني. أمعنت النظر فصُعقت: كان جنديًّـا عراقيًّا يرتـدي زيّ المغاوير. كان يقترب منّـي شيئًا فشيئًا، دون أن يلحـظ وجـودي. لا سلاح معي ولا قدرة لي على العراك معه

أو حتى الهروب منه، بقيت في مكاني أنتظر مصيري وقدري».

كنت أجيد اللغة العربية قليلاً. ما إن وصل الجندي إلى مسافة عدة أمتار حتى نهضت من مكاني وقلت له بالعربية: «سلام، لا تخف، تعال إلى هنا، لن أؤذيك».

ما أن رآني حتى شحب لونه. ربما بسبب اللباس الكردي! المسكين لم يدرِ كيف يدبر بالفرار. كان يركض بأقصى سرعة ويصرخ طالبًا المساعدة. صبرت قليلاً كي يبتعد عنّي مسافةً، فلا يمكنه عندها تحديد وجهتي، ثم بدأت الركض بأقصى سرعتي إلى أن وصلت إلى منحدر حادّ. نزلت المنحدر إلى أن وصلت إلى صخرة يمكن الاختباء تحتها. بعد 20 دقيقة، سمعت جلبة بالقرب مني وأصوات تدعو باللغة العربية: «أين أنت؟ استسلم!». كانوا يمشّطون المكان بالرصاص، في حين كنت أقرأ آية الكرسي وآية السدّ. فجأةً، سمعت صوت خشخشة وصوت أقدام تقترب منّي شيئًا فشيئًا. مرّ بالصخرة التي أختبئ تحتها جنديّان عراقيّان وتابعا طريقهما نزولاً. كان يكفي أن يلتفتا للخلف حتى يرياني. حبست أنفاسي في صدري، ورحت أنزع الأعشاب القريبة منّي وأغطّي بها ما بان من قدمي. وصل الجنديّان أسفل المنحدر فاتجه أحدهم لليسار والآخر لليمين. مرّت عليّ لحظات مهولة. بعد ساعة، ولشدّة التعب والجوع غفوت تحت تلك الصخرة لأستيقظ عند الساعة 12 ظهرًا. بعد أن تأكدت من خلوّ المكان، خرجت من تحت الصخرة وتابعت سيري. وصلت أسفل المنحدر ووجدت عددًا من معلبات الفاكهة والطعام الفارغة. كما وجدت علبة «طون» فيها قطعة لحم وقد امتلأت بمياه الأمطار، فحملتها وشربتها. وكأنما شربت الأسيد! فقد كانت العلبة

صدئة كريهة الطعم، لكن لم يكن باليد حيلة!

تابعتُ طريقي رغم التعب. لكن عند الساعة الثانية بعد الظهر، لم أعد أحتمل الجوع والعطش. وصلتُ إلى نبع ماء صغير مياهه موحلة. وضعت فمي تحت سطح الماء وشربت إلى أن رويت عطشي. لم يعد بي رمق لمتابعة الطريق. كان على يميني صخرة كبيرة، فارتميت خلفها واستسلمت لنوم عميق. استيقظت بعد ساعة ونصف وكنت ما أزال بين النوم واليقظة عندما لفت نظري روث بغل بالقرب من الصخرة. لمسته بيدي، فإذا به لا يزال طريًّا. ورأيت أثر أقدام البغل وإلى جانبه أثر ثلاث نجمات لحذاء عسكري عراقي، فتجمّد الدم في عروقي، لقد شملتني العناية الإلهية هذه المرة أيضًا. فقد مرّ أثناء نومي بغل وجنديّ عراقي كان يسير للجهة الأخرى من البغل، ولو كان يسير من هذه الجهة لرآني حتمًا. تحاملت على نفسي وتابعت الطريق. كانت الساعة السادسة بعد الظهر عندما وقع نظري على عدة أشخاص يرصدون المنطقة بالمنظار، راقبتهم بالمنظار الذي كان بحوزتي.

يوحي ظاهرهم أنهم إيرانيون، رغم ذلك اتخذت جانب الحيطة والحذر. اتجهت نحوهم من الخلف بهدوء، واختبأت خلف شجرة قريبًا منهم. وأنا كذلك، مرّ بالقرب من الشجرة اثنان منهم فأيقنت أنهم إيرانيّون. عندها خرجت من مخبئي، لكن غارت عيناي ولم أستطع سوى قول كلمة: «سلام» ثم فقدت وعي. بعدما أفقت وجدتُني أتأرجح على أكتاف ثلاثة عناصر يحملونني إلى دشمة الطوارئ.

أمر النار بيدك

1362-8-20 هـ.ش/11-10-1983

كأنما الشمس خجلت من أن تشرق على جبال «مرايفان» الشامخة، وقد تعطّرت الأجواء في الدشمة ومحيطها بنداء «يا أبا عبد اللّه».

هذا أسند وجهه إلى أديم الدشمة، وذاك واقف يتكئ إلى جدارها مطأطئ الرأس، وثالث جالس على سجادة الصلاة ورابع في زاوية الدشمة جلس ضامًّا إحدى ركبتيه إليه. وأنا أنظر منبهرًا مندهشًا لكل هذا العشق والروحانيّة. كان نداء «يا أبا عبد اللّه» ما زال يفوح في الأرجاء عندما خرجتُ لأمر وذهبت إلى الدشمة المجاورة. فجأةً، سمعت صفير قذيفة هاون تبعها انفجار مهيب جرّنا جميعًا نحو الدشمة المدمّرة. هنا، تحول النداء إلى استغاثات: «يا زهراء»، «يا حسين»، «يا صاحب الزمان» وتلاها صمتٌ كئيب.

عندما دخلت الدشمة، كان الدم والتراب الممزوج برائحة البارود قد ملأ المكان. هنا عزيزٌ قُطعت كفّاه كسيّده العباس عليه السلام، وهناك سيّد حُطّم صدره كأمّه الزهراء عليها السلام، وفي جهة عزيز خُضّب رأسه بالدماء كمولاه أمير المؤمنين عليه السلام وفي جهة أخرى عاشقٌ قد فُصل رأسه عن جسده كسيّده الحسين عليه السلام.

أجل لقد استشهدوا جميعًا!

كان فجـر ذلك اليوم شاحبًا وبدت الأرض الثكلى كأنها أهالت التراب فـوق رأسها، كان كل شيء من حولي قد ارتدى لون الحزن، حتـى سيارات «التويوتا»، ليس حزنًا على هؤلاء الشهداء، إنما لعدم فتح الطريق إلى كربلاء.

21-12-1363هـ.ش/ 12-3-1985

مع نشرة أخبـار الساعة 23:00، جرى تبديل نوبة الحراسة. كان الجو منعشًا تلك الليلة ونجوم السماء بدت أكثر لمعانًا. ربما تسأل لمَ كنت مستيقظًا حتى تلك الساعة؟ حسنًا أيها الأخ العزيز! لاستيقاظي سبـب وجيـه. كانت تلك الليلـة الكـبرى، فبعد حـوالي 7 أشهر من توقـف العمليات، استُدعيـت الليلة الماضية من أجـل تحميل ذخائر الكاتيوشيا. كما تناقل بعض الإخوة الحديث عن بدء العمليات!

أشـارت عقـارب الساعـة إلى العاشـرة صباحًـا عندما حضر عنصران من وحدتنا وحدّثانا عن عمليات الليلة الماضية. تضاربت مشاعري بين الفرح لبدء العمليات والحزن لعدم مشاركتي فيها.

عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، كانوا ينقلون القوات بواسطة الشاحنات إلى الخطوط الأماميّة دون توقف. بدا لي أنهم من فرقة «حضـرة الرسـول 27 ﷺ». كنت ألوّح لهم بيـدي عندما أعلنوا عبر مكبّرات الصوت عن صلاة المغرب جماعةً في الحسينيّة، يليها دعاء التوسّـل وطلب النصر لقواتنا. مـرّ الوقت كيفما كان وحلّ الغروب، ومـا إن رُفع أذان المغرب حتى ذهبنا لصلاة الجماعة. بعد الصلاة قالوا إنّ دعاء التوسّل سيُقام عند الساعة الثامنة. عدت إلى خيمتنا

مجـدّدًا والغم يُثقل كاهلي. مدّ الإخوة مائـدة العشاء وكان الطعام أرزًّا مـع البنـدورة. بعد تنـاول الطعام، ذهبت معِ أحـد الإخوة إلى الحسينيّـة حيث أُخبرنـا أنّ مراسم الدعـاء قد أُلغيـت وأنّ قواتنا ذاهبة لنقل العتاد إلى منطقـة العمليات عبر مثلث «آبادان». فقلت في نفسـي: «سأذهب بالحافلـة الصغيرة إلى الخطـوط الأماميّة». لكـن تراءى لي وجه الحاج «ضعـيري»، وهو أخ طيب وقائد وحدتنا، وهو يقول لي: «سلمت يداك يا إيرفاني! حتى أنت؟». فقلت في نفسي ثانيةً: «وما أدراك؟ لربما جاء الحاج غدًا بسيارته واصطحبك معه إلى الخـط الأمامي». لـذا انصرفت عن الفكـرة الأولى وعدت إلى الخيمـة. لكن مـا إن دخلتها حتـى انتابني الحزن ثانيـة، وقلت في نفسي: «لا يصحّ هذا».

حملـت مسجّـل الصوت مع بطانيـة كانت قرب البـاب وخرجت إلى الفـلاة. بسطـت البطانية وشغّلـت مسجل الصـوت وكان فيها شريـط تسجيل (كاسيت) لمحسن يرثي فيه السيدة فاطمة عليها السلام. يا للصدفة! لقد كان رمـز عمليات الليلة الماضية «يا زهراء». استمعت إلى التسجيل وشعرت ببعض الارتياح. كنت أطلب السكينة، لكن صور وجوه الرفاق الذين استشهدوا في العمليات مرت أمام ناظري، صوَر وجهي والدين عجوزين منهكـين قدّما ابنهما الوحيد لحفظ الثورة، صورة صديقي العزيز الذي كنت أسير معه إلى المدرسة، والأكثر ألمًا من ذلـك، عندما تمثّلت لي صور الرفـاق في الفرقة وهم يتعرّضون لقصـف الأعداءِ الضاري، لكنهم صامـدون خلف الساتر الترابي لا يتزحزحون قيد أُنملـة، وفي كل لحظة يحطّم أحدهم قفص الجسد ويحلّق عاليًا للقاء الحبيب. آه لو تدري كيف كانت حالي!

على أي حال، بعد فترة من تصفية الذهن، أطفأت مسجل الصوت وحملته مع البطانية إلى الخيمة التي افتقدتْ وجوه بعض الإخوة، ولا أدري أي زاوية من هذه الفلاة قد عطّروها ببوح مناجاتهم. أما من بقي في الخيمة منهم، فقد غطّى رأسه بالبطانية واستسلم للنوم، والعجب كيف استطاعوا النوم في مثل هذه الليلة!

من يدري؟ ربما كانوا يناجون ربهم تحت هذه البطانيات!

كانت الساعة حوالي الواحدة بعد منتصف الليل، وقد ملأ الأرجاء صوت كاتيوشيا قواتنا. ترى ما الذي سيحصل صباح الغد؟ أرجو أن يأتي الحاج ليصحبني معه.

24-12-1363هـ.ش/14-3-1985م

كاد صبري أن ينفد، عندما دخل يوسف فجأة إلى الدشمة ضاحكًا مستبشرًا، وقال فرحًا: «لقد انتهى الأمر وحان الوقت! هيا انهض فقد جاء الحاج ليصطحبنا» لم أصدق ما سمعته أذناي، فجأة! ألفيت الحاج ضعيري واقفًا في الباب يقول: «سلام أخ إيرفاني، هيا استعد للذهاب إلى الخط الأمامي».

كانت قد مرّت بضعة أيام على بدء العمليات، لكنها مرت عليّ ثقيلة وكأنها عدة شهور.

حملتُ حقيبة الظهر بيد والحذاء العسكري باليد الأخرى، ثم قفزت خلف شاحنة التويوتا الصغيرة. تبعني يوسف مباشرة وانطلق الحاج بنا. كانت الساعة قرابة الحادية عشرة عندما وصلنا إلى مركز تنسيق[1] الجزيرة. ما إن أكملنا الإجراءات اللازمة

1- مركز التنسيق بين الراصد ومربض المدفعية، ويستقرّ في مقرّ المدفعيّة التكتيكي.

تمهيـدًا لانتقالنا إلى الخط الأمامي، حتى ارتفع صوت أذان الظهر من مكـبرات وحدة الإعـلام. بعد صـلاة الجماعـة بإمامة الحاج رضـا معاون اللواء، تناولنـا طعام الغداء ومن ثـم الشاي. خرجت من الدشمة للتنزه، فتفاجأت بالحاج رضا يغسل أطباق الطعام. في تلـك الأثناء خرج السيد محمود مـن الدشمة، فأشرت بيدي ناحية الحاج وقلت: «انظر يا سيد!».

فتبسّـم السيـد محمود وقـال: «اليـوم دور الحاج ليكـون عامل النظافـة ولا يقبـل أن يعطي دوره لأحد». قرابـة الساعة الثانية من بعـد الظهر، انطلقتُ مع يوسف والحاج إلى الخط الأمامي. بعد أن قطعنا كيلومترات عدة في طريق ترابيّة، وصلنا إلى «جسر الخندق» المـؤدي إلى جادة الخندق التي حرّرناها في العمليات الأخيرة. وبعد حـوالي 13 كلم وصلنا إلى الجادة وتوغّلنا فيها عدة كيلومترات إلى أن وصلنــا إلى موقـع عسكري مائــي[1]، انتصب علــى جهته اليمنى تــلّ للراصد. ترجّلت من السيـارة وذهبت ناحيــة المرصد. أعطانا الراصـدان السابقان جميع التقاريـر والإحداثيات حول المنطقة ثم رافقـا الحــاج إلى خطوطنا الخلفيّة. عند الساعـة الرابعة عصرًا، شمــل القصـف المعادي كل جــادة الخنــدق، ولشدته اعتقـدت أنه قصف تمهيدي لهجوم ما. استطلعت الأمر في خطّنا وفي خط العدو بسرعــة، لكن لم أجد ما يريب فأخبرني أحد الإخوة في لواء الغدير أنّ القصف هو وجبتنا اليوميّة.

رصدت المنطقة بحثًا عن مصادر نيران العدو، وبعد أن حدّدتها، أعطيــتُ الإحداثيات لمركز التنسيق ومن ثم انصبّت نيران مدفعيتنا

1 - موقع عسكري مقام فوق المسطحات المائية.

بأقصى قدرتها على المكان لكن من دون جدوى. فجأة وقع نظري على هوائي مقرّ الأعداء، فوجّهت نيران مدفعيّتنا نحوه. وبعد مدة من قصف مقرّ الأعداء، تمكّنا من إسكات مصادر نيرانهم. وقد أخبروني في نقطة التنصّت القريبة منّي، أنهم رصدوا اتصالات من مقرّ الأعداء الذي قصفناه يأمرون بوقف إطلاق النار. أدركنا حينها أنّ قصفنا للمقرّ كان مؤثّرًا. لكن لا أراكم اللّه سوءًا، فجأةً ظهرت 4 مروحيات عسكريّة فوق الموقع العراقي. بدايةً لم ندرك ما يجري. لكن بعد إطلاق صاروخين نحونا، أدركنا أنّ قصفنا للمقر كان مؤلمًا جدًّا. على أي حال، مرّ الصاروخان عن يمين ويسار نقطة الرصد، واهتزّت الأرض تحتنا. بدأت مضادّاتنا الأرضيّة من عيار (155ملم) التعامل معها مباشرةً، ورصدت مرور طلقات مضادّة تحت المروحيّة، لذا طلبت رفع زاوية الإطلاق واستخدام قذائف زمنيّة، وبدأت معركة بين المروحيات وبين مضاداتنا. في تلك الأثناء، سقط أكثر من صاروخ أرضي وجوّي بالقرب من تلّ الرصد دون وقوع أضرار، لم يكن يوجد في جادة الخندق غير نقطة الرصد هذه، والعدو يعلم بالطبع أنها هي من تعطي الإحداثيات لمرابض مدفعيتنا. استمرت المعركة بيننا وبين المروحيّات إلى أن انفجرت قذيفة زمنيّة قرب إحداها، فتأرجحت طويلًا في الجو قبل أن تُجبَر مع صاحباتها على الانسحاب إلى عمق الأراضي العراقيّة وغابت عن الأنظار. ومع انتهاء المعركة صدح صوت أذان المغرب في أرجاء خط جيش الإسلام.

1364-12-20هـ.ش/ 11-3-1986

تسلّلت أشعّة الشمس لتحلّ رويدًا رويدًا محل العتمة. وبعد انتهاء

صلاة الصبح عمّت الأرجاء أصوات زمزمات قراءة زيارة عاشوراء لبواسل هجـروا الأحبّة والديار وركبوا الحِمام عشقًا لذلك الحرم. بعـد هنيهة انضممتُ لصفوف هـؤلاء الأخيار، لكنني وقفتُ عاجزًا عـن وصـف الأجـواء التي سـادت آنذاك. يجـب أن تكـون حاضرًا لتلمسها، فهي ليست من الأمور التي يمكن للقلم أن يخطّها.

بعـد زيارة عاشـوراء، جلسنا جميعنا إلى مائـدة طعام الفطور، وقـد جلس الأخ رضـا بقربي وهو من استطلاع لـواء الغدير. خلال تبـادل الأحاديث قال الأخ رضا: «أخ حجت، هل لفت نظرك الجسر العائـم الذي وضعه العراقيون شمال عوائق السيل؟». كنت قد جئت إلى الخـط حديثًـا فنفيت علمـي بالأمـر وتقـرر أن نستطلع مكان الجسر؛ أنا والأخ رضا من خلال متاريس الكمائن المتقدمة لقواتنا.

حـوالي الساعة الخامسة من بعد الظهر، لفت سمعي صوت الأخ رضـا واقفًا ببـاب الدشمة يقول: «الرؤية جيـدة الآن، أتودّ الذهاب ناحية متاريس الكمائن؟» تأملت قليلًا ثم انطلقت معه.

كانـت المنطقـة هادئـة ولا يعكّـر صفوهـا سـوى انفجـار بعض القذائـف، وعلى بعـد حوالي 500م، لفتني وجـود متراس يفوح منه عطر الجنـة. كان يجلس فيه رجل عجـوز كحبيب بن مظاهر ومعه 3 تعبويـين شبّان كالقاسم بن الحسـن عليه السلام، وأمام كل واحد منهم قـرآن علـى رحله وقـد انشغلوا بتلاوتـه. غبطتهم على مـا هم فيه للحظة وقلت في نفسي: «يا لسعادتهم!».

وصلنـا إلى الخـط، وبالتنسيـق مـع مسـؤول المحـور، دخلنا إلى منطقــة الكمائن الكائنة لجهة الشمال وانشغلنـا بالاستطلاع. فجأةً بـدأ القصف الشديد على خطّنا. الحمـد لله، كنتُ أحمل معي دفتر

رموز جهاز اللاسلكي، استعرتُ جهاز أحد الإخوة. نظّمته على موجتنا واتصلت بمركز التنسيق، ثم أعطيتهم الإحداثيات تمهيدًا لقصف خطوط الأعداء؛ وهكذا بدأنا بقصف الخط الأول والثاني. فجأةً تصاعد اللهب بين ساتري العدو الترابيين، تبعها انفجارات متفرقة.

يبدو أنّ مخزن الذخيرة قد انفجر جرّاء قصفنا المدفعي. استمرّت الانفجارات حوالي 45 دقيقة، وسكتَ قصفهم معها. عندها أعطينا الأوامر لمرابضنا بوقف إطلاق النار أيضًا. وأشارت سيارات الإسعاف التي هرعت إلى خط العدو الأول والثاني، إلى خسائرهم الفادحة.

كانت الشمس قد مالت للمغيب عندما قفلنا عائدين إلى خطوطنا الخلفيّة. في الطريق، التقيت بأخوة منتشرين هنا وهناك والوجوم باد على محيّاهم. سرت عدة خطوات فرأيت جثث أربعة شهداء مغطّاة بقماش أبيض وعلى مسافة قصيرة منهم متراسٌ دمرته قذيفة هاون. أمعنت النظر فرأيت أكثر من حامل [رحل] قرآن مغطًّى بالدماء والتراب. تسمّرت مكاني ثم التفتّ ثانية نحو الشهداء الأربعة وقلت دون إرادة مني: «يا لسعادتهم».

1365/11/18هـ.ش - 1987/2/7

كيف يمكن أن أصدق ذلك! على أي حال، أخذت قراري وأنا بكامل قواي العقليّة. تمكنت بعد جهد جهيد من قرع الجرس الذي يشبه صوت تغريد البلبل. بعد دقيقة، فتحت سيدة كبيرة في السنّ الباب. كانت عيناها تشعّان نورًا. تنفست الصعداء عندما رأتني وقالت: «تفضل».

حقيقــةً لا أدري من أين أبدأ. بصعوبــة وبشكل مختصر سألتها عــن أحوالها وقلت: «ما أخبار حيدر؟». فجأةً انقلب حالها وحملقت في عينــيّ، فأجــبرت على طأطــأة رأسي. قالت: «أنــت من يجب أن تحمل لي أخبار حيدر لا أن تسألني عنه!». بعد لحظات من الصمت أضافــت: «أعلم أنّ حيدر لم يعد موجودًا، فلمَ لا تخبرني الحقيقة؟ علمت ذلك منذ آخر مرة غادرنا فيها! لقد حضن أباه وبكى بصمت. ثــم طلب منه ومني المسامحة وقال لي: «أدعي لي يا أماه ليغفر اللّه لي ذنوبــي». فقلت لــه: «ما زلت صغيرًا يا بنــي، وأنت منذ العاشرة من عمرك مؤذّن المسجد. كما أنك بلغت سن التكليف منذ 3 سنوات فقــط، وقد صُمت أضعاف هذه المدة، كمــا تواظب على صوم يومي الإثنــين والخميس، فــأي ذنب ارتكبته ليغفــره اللّه لك؟». تلك المرة حضن أخته الصغرى وأثناء مغادرته التفت نحونا مرارًا وهو يتمتم كلامًا لم نفهمه».

كنــت أقــف مدهوشًا متحيّرًا لــكلام هذه الأم، يبــدو أنها لم تعد قــادرة على الوقوف فاتكأت على البــاب، ثم تابعت بصوت مرتجف: «عندما أخبروني أنّ حيدر مفقود الأثر، توسّلت بالأئمة عليهم السلام وفي الليل وجدت قميصه القديم فلففت به القــرآن ووضعته على كوّة الجدار. كنــت مذهولة أفكــر بحيدر عندما غلبني النعاســ، ورأيت في الحلم أنني أحمل وعــاءً زجاجي فيه سمكة حمراء والمياه تغمره إلى نصفه فقط. فأمسكت السمكة بيدي وأخرجتها من الوعاء ورحت أحدّق إلى جمالهــا. فجأةً! سقطت السمكة من يدي علــى الأرض ومهما بحثت عنها لم أجدها. عندها فزعتُ من نومي وقلت دون إرادة منــي: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾. وأيقنت حينها أنّ حيدر غادرنا».

بلّـل العرق رأسي ووجهي وطأطـأت رأسي مجبرًا. لربما لم أعد أقـوى على النظر إلى تلك العينـين الثاقبتين. عندما وجدتُ أنها لم تعـد تطيق صبرًا قلت لهـا: «كانت رؤياك صادقة يـا أماه. لقد كان حيـدر ضمـن كتيبـة التخريب في «فرقـة رسـول الله 27 ﷺ». وليلة العمليـات بسبـب شجاعتـه وسرعة عملـه وتضحياتـه في الكتيبة، عمـل في خط الاقتحـام. في الليلة الثالثة للعمليـات، وبعد أن خاض معارك بطوليـة وعبر قناة الأسماك، استشهد إثـر إصابته بشظية في رأسه. بقـي جثمانه الطاهر هناك بسبب هجوم دبابات الأعداء وبقيـت ذكراه الطيبة في قلوبنا». رمقتُ وجه الأم الثكلى بنظرة وقد خيم الصمت علينا مدة إلى أن قالت: «أعلم أن حيدر لن يعود، لكن أقسـم عليكـم أن تحضـروا لي جثمانه»، ولأنها لم تلـق جوابًا سوى الصمـت قالت راجية: «سأرضـى بيد أو قدم فحسب»، لكنها لم تلق أيضًـا غير الصمـت وطأطأة الرأس. فقالت يائسـة: «حتى إصبع واحـد منه يكفينـي، ليكون له مزارًا ألجأ إليـه وأبثه شجوني». وبما أنها لم تلق ما يؤملها تمتمت قائلة: «الشكر لك يا الله».

1365/11/30هـ.ش 1987/2/19

كنت نائمًا واستيقظت على ربت خفيف من الحاج قاسم الذي قال لي: «هيا انهض، حان وقت العمل». على الرغم من تعب الليلة السابقة إلا أنني جهزت نفسي للقيام بالمهمة. بعد أن انتهينا من مائدة طعام الفطور، ذهبنا بناءً على طلب الحاج قاسم إلى مائدة الرصد[1]. قلت: «هل يمكنك أن تخبرني أين يجب أن ننقضّ على الإخوة العملاء؟».

1 - مائدة الراصد: الخريطة والمخطّط.

بعد صمت قصير قال الحاج وهو يشير إلى نقطة على الخريطة: «هنا، خط الفرقة العاشرة، حيث استقدم العدو حديثًا عددًا من الدبابات وازداد الضغط على الإخوة في الخط الأمامي. وإذا قرّر العدو القيام بحركة ما فستكون من هذه النقطة، لذا عليك بالإضافة إلى إعطاء الإحداثيات أن تريحنا من شرّ هذه الدبابات».

عندما كان الحاج قاسم يشرح المهمة، كانت عيناي تحدّق بيديه وأذناي تستمع لكلامه بدقّة. بعد تلقّي التعليمات، جمعت بمساعدة أحد الإخوة ما نحتاج إليه من عتاد؛ البوصلة، المنظار، جهاز اللاسلكي، الشيفرة، ساعة عدّاد، المخطّط وغيرها. بعد التحقّق من الوقود وزيت محرّك الدراجة النارية، توكلنا على الله وانطلقنا نحو خط فرقة «سيد الشهداء 10». في الطريق مررنا بالإخوة المقاتلين من شيراز وتبريز. عندما رأى التعبويون المنظار وجهاز اللاسلكي، أدركوا أننا من وحدة الرصد. فكانوا يدعوننا بوجوه باسمة لشرب الماء المثلّج ومعلبات الفاكهة. وكنّا نمرّ بهم ونحيّيهم بإطلاق البوق وعلامة النصر.

حوالي الساعة 8:30 صباحًا، وصلنا إلى الخط. لا أراكم الله مكروهًا. لقد تشابكت قذائف الدبابات مع الهاون والرشاشات والقناصات، وانصبّت على المكان فأقعدت الجميع عن الحركة ولا ملجأ للأخوة التعبويين سوى بضعة أكياس من التراب وتوكّلهم على الله. كان جميع الإخوة في خط الفرقة العاشرة بانتظارنا، لذا لاحقتنا الأبصار منذ لحظة وصولنا. وجدت مكانًا آمنًا نوعًا ما، فركنت الدراجة على عجل ثم اخترت أفضل وأكثر المتاريس ارتفاعًا ليكون نقطة للرصد. زحفنا نحو المتراس، وعندما وصلنا إليه لم

يكـن فيه غير تعبـوي صغير السن علـى رأسه خـوذة وبيده سلاح. كان يراقـب بعينين حادّتين خط الأعـداء، فلربما ضلّ أحد «الإخوة العملاء» طريقه وجاء نحونا فيمطره بوابل من نيران جهنم. عندما دخلنـا المتراسـ صافحنا بيـده الدافئة وقـال: «تفضلـوا». بعد أن أخبرناه بمهمتنا استأذنا منه للعمل في متراسه.

ألقيـت نظـرة سريعـة على المنطقة ثـم فتحت الخريطـة، وبعد تحديـد مكان وجودنـا، حددت اتجاه وزاوية الهـدف، وجهز رفيقي جهاز اللاسلكي.

بسرعة أعطيت الإحداثيات لمركز التنسيق وطلبنا صليات النار. كان جيراننـا الذيـن نسوا مـا كان بيننا مـن خبز وملح، مـا زالوا يمطـرون خطّنا بأنـواع القذائف. بعـد مدة، أعلن مركـز التنسيق بـدء إطلاق النار بنداء «الله أكبر»، ورحبنا نحن بوصول أول قذيفة بنداء «خميني رهبر[1]». وما هي إلا دقائق حتى سمعنا صفيرًا رهيبًا تبعـه انفجار مهيب في خـط الجبهة العراقيّة الذي لا يبعد عنا أكثر من 500م.

كان جميـع المقاتلـين يقفون علـى السـاتر الترابـي ويقولون بكل حماســة وشغف لا يوصفان: «نحن ننتظر الثانية»، لكنهم نزولًا عند توسلات رفيقي نزلوا إلى متاريسهم.

سقطـت القذيفة الأولى علـى بعد 50م من تحصينـات الأعداء وفي حقـل الألغام ففجّرت عـددًا من الألغام المضيئـة. مع تصحيح الإحداثيـات، انطلقت القذيفـة الثانية لتستقرّ خلـف التحصينات والثالثـة بلطـف الله سقطت علـى التحصينات مباشـرةً. وبحسب

1 - أي، خميني قائد.

قول الإخوة الرُصّاد، لقد وضعنا له التاج. بينما سقطت القذيفة الرابعة على سيارة «آيفا» تحمل عناصر خلف أسوار تحصيناتهم، فتصاعد منها دخان كثيف. في تلك الأثناء، طلب الإخوة عند مرابض المدفعية إطلاعهم على النتائج فقلت لهم: «انظروا إلى نتيجة عملكم في السماء، في ذلك الدخان الكثيف المنتشر». عندها، زلزلت المكان تكبيرات جنود الإسلام.

لم يمضِ وقت طويل على تدميرنا لشاحنة «آيفا» التابعة للأعداء، حتى بدأَت قذائف دباباتهم تتساقط على خطنا. لم أضيّع الوقت وأعطيت إحداثيات مواقعهم لمرابض مدفعيتنا وبدأ الردّ عليهم من مربضي مدفعية (130ملم)، ومدفعية (203ملم) التابعة للأخوة في الجيش. تركز القصف عليهم وبعد دقائق سمعنا صوت انفجار بين الدبابات تبعه انفجارات متعددة لذخائر الدبابة المصابة إضافةً إلى صيحات الله أكبر للشباب في خطّنا. وجهت النيران بدقة أكبر هذه المرة وبفضل الله سبحانه وتعالى وهمّة الإخوة في مربضي مدفع (130ملم)، تمكّنا من إصابة الدبابة الثانية والثالثة، ومن ثم بنداء «وما رميت إذ رميت» أُصيبت الرابعة بقذيفة مدفع (203ملم) التابع لجيشنا. بعد تدمير الدبابات الأربع، ترك الجنود العراقيون آلياتهم المصفّحة ولاذوا بالفرار. هكذا، انتهت المعركة بين مدافعنا ودبابات العدو البعثي. بعد إعطاء إحصائية عن خسائر العدو لمركز التنسيق، انتهت مهمتي فتنفست الصعداء ورحت أتأمّل وجوه الإخوة البريئة والفرحة. في تلك الأثناء رأيت أحد الإخوة المصابين بيده يترجّل بإصرار من سيارة الإسعاف، ثم تقدم نحوي بملامح لا توصف قائلاً: «عافاك الله!».

1366-/12/26هـ.ش 1988/3/16

بتاريخ 17/12/ -1366 7/3/1988م، وبعد توديع شباب وحدتنا، توجهت مع الإخوة: «كاشي زاده، جواد محمدي وقرباني» إلى منطقة العمليات. وصلنا قرابة الظهر إلى مقرّ «غزيل» وبقينا هناك حتى الغروب. بعد اللقاء والتنسيق مع الأخ «مقدم» قائد اللواء «ظفر 75» تقرّر التوجه إلى باختران على أن نصلها عند الساعة 7:30 من صباح اليوم التالي.

بعد أن تناولنا طعام العشاء إلى جانب شباب كتيبة كميل في بلدة «أناهيتا»، انطلقنا نحو «باينكان» ومن هناك إلى مثلّث بافه، رفانسر فباختران.. عند الساعة السادسة صباحًا انطلقنا إلى الخطوط الخلفية للواء «ظفر 75» الكائن في مدينة باختران. انتظرنا الأخ مقدم في غرفة الارتباط في «مريفان» ساعة وأربعين دقيقة، ووصل إلينا في تمام الساعة الثامنة. تحدث الحاج مقدم إلى الأخ ريفندي قليلًا ثم دعانا نحن الأربعة إلى غرفة العمليات حيث أعطانا الشروحات والتعليمات اللازمة. بعدها، شُكّل فريقان، الأوّل يضم الأخوين جواد محمدي وكاشي زاده، وينطلقان عبر «سيمان، سيرفان وتشنار» ليصلا إلى جبال بالامبو. وأما الفريق الثاني المؤلف من الأخوين قرباني وإيرفاني فينطلقان عبر مريفان، دزلي، قرية زلم، كره تشال، و«أحمد آفا» ليصلا إلى منطقة العمليات.

كانت مهمة الفريق الأول تدمير أهداف جنوبي منطقة العمليات، بينما يتولّى الفريق الثاني تدمير الأهداف شمالها.

بدّلنا ثيابنا بعد أن أعطونا اللباس الكردي وانطلقنا عند الساعة الحادية عشرة، نحو مريفان. وصلنا عند الساعة 12:45

ظهـرَ يوم 8-3-1988، إلى مسافة (10كلم) من سنندج. دخلنا إلى مقـرّ «رمضـان»، وبعد أن حصلنـا على حذاء رياضـي اتجهنا نحو الحسينيـة للصلاة، بعدهـا انتقلنا إلى قاعة الغـداء ودلّنا معدتنا قليـلاً، وهناك التقينا الأخ كاظم بور الـذي سيؤمن لنا إذن المرور. بعدها انطلقنا نحو سنندج ومن هناك إلى مريفان.

في الساعة الخامسة من يوم 1988/3/9، وصلنا إلى مريفان. بعد أن عرفنـي الأخ ريفندي إلى الأخ كريمي مسؤول المحور والأخ كوهي معاون العمليـات والأخ جمال مسؤول الكتيبـة، وبعد تأمين الأدوات الضروريـة والخريطة انفصل عنا واتجه إلى بافه. بعد مغادرة الأخ ريفنـدي جهـزت لائحـة بالوسائل المطلوبـة وتشمل: «كيـس للنوم، قـارورة مياه، حزام، حمّالة السـلاح، سلاح، حقيبة الظهر، حربة، مصباح يدوي، معلبات، خبز، حصة تموينيّة حربيّة، تمر وغيرها»، أرسلـت الأخ قربـاني لتأمينها بينما جهزت أنـا بالتعاون مع الإخوة مـن استطـلاع «اللواء 75» الخريطـة حيث رصفناها قـرب بعضها البعض ومن ثم غلفناها بالنايلون. جهزنا جميع احتياجاتنا لتنفيذ مهمّـة التسلّل وقررنـا دخول المنطقة في اليوم التـالي. لكن للأسف وبسبـب عـدم التنسيق تأجل دخولنـا يومًا آخـر. في اليوم الموعود، انطلقنـا أنا والأخ قرباني مـع عنصرين من استطلاع العمليات إلى المنطقـة. أقلّتنا السيارة إلى قمة «ملخ خور» وكان علينا متابعة بقية الطريـق سيرًا علـى الأقـدام. كان الأخ «كوهي» قـد أعطانا رسالة لـكاكا[1] درويش مسؤول جماعة الأكراد المعارضـة لصدام، ليزوّدنا بثمانية من عناصره للحماية.

1 - أي "الأخ" باللغة الكردية.

بعـد أكثر مـن ساعتين من المشي، وصلنـا إلى مقرّ «كره تشال»، وبعـد استراحة قصيرة تابعنا سيرنا نحو مقرّ جماعة الأكراد حيث وصلنـا إليه بعد حـوالي 20 دقيقـة. بحثنا عـن كاكا درويش، لكنه للأسف لم يكن هناك، عُدنا أدراجنا إلى مقرّ «كره تشال» وتحدثت بجهاز اللاسلكي إلى الأخ كوهي الذي طلب أن نبقى مكاننا بانتظار الأخ جمال. حوالي الساعة 10 ليلًا، وصل الأخ جمال إلى «كره تشال» مع كتيبة غير منظّمة للواء «ظفر 75» الذين يعملون تحت إمرة مقر رمضان بشكل حرب عصابات.

قرابة منتصـف الليل، لاحظت انتقال قوات فرقتي «كربلاء 25» و«المهدي 23» من الخط إلى قرية زلم، يبدو أنها ليلة العمليات! كنت أتحدث إلى جمال فقال: «سنتحرك الليلة أو غدًا صباحًا».

قضينا الليل علـى أهبّة الاستعداد، وبعد صـلاة الصبح وتناول طعام الفطور استعددنا وحُدّد قادة الفصائل.

جُهّـز فصيل بالسلاح الفردي، رشاش وآر بي جي7. بينما ضمّ الفصيل الآخر رماة صواريخ «سهند وماليكوتا» إضافة إلى عناصر الاستطلاع ورُصّاد التسلّل. بعد توزيع القوات وتشكيل الرتل، التحق بنـا حـوالي 300 عنصر مـن الأكـراد المعارضين وانطلقنـا جميعًا حوالي الساعة العاشرة صباحًا.

بعـد ساعة من المشي وصلنا إلى مشارف قرية زلم. كانت قواتنا النظاميـة قـد بـدأت العمليـات في الليلـة الماضية وسيطـرت على الجبال المشرفة على سهول «حلبجة»، لكن الأخاديد والمواقع لم تكن قد مُشّطت بالكامل.

يقـع أول موقـع للأعـداء في قريـة زلم، وقد فرّ جميـع عناصره

وخلّفوا وراءهم بعضًا من العتاد الحربي. عبرنا القرية، وبقي أمامنا حوالي كيلومترًا واحدًا للوصول إلى قرية «أحمد آفا». وفي البداية علينا عبور جسر إسمنتي منصوب فوق نهر زلم.

ما إن همّ الفصيل الأوّل بالعبور، حتى انهالت صليات الدوشكا ورشاش «غرينوف» على المكان فشلّ حركتنا، وأجبرنا على التراجع والاحتماء.

كانت نيران الدوشكا تنهمر علينا من الجبال في الجهة اليمنى التي يسيطر عليها أبطال «فرقة كربلاء 25». وبما أننا كنا نرتدي الزي الكردي في هذه المهمة، ولم نكن على تنسيق مع وحدات الاقتحام، فقد ظنّوا أننا عراقيون. اتصل الأخ جمال لاسلكيًّا بالمقرّ ليعطوا إحداثيات مكان وجودنا للفرقة كي يوقفوا قصفهم ونتمكّن من استكمال مسيرنا. بعد مدة أخبرونا أنّ التنسيق اللازم قد تمّ وأنّه يمكننا متابعة الطريق. باسم الله انطلقنا، لكن ما إن وصلنا إلى الجسر حتى عادت النيران سيرتها الأولى، فتساقطت علينا رصاصات الدوشكا ورشاش غرينوف.

اتصلنا ثانيةً بالمقر وأخبرناهم أنّ إطلاق النار ما زال مستمرًّا. فقالوا: «لقد نسّقنا ثانيةً ويمكنكم استكمال الطريق». لكن للمرة الثالثة، ما إن وصلنا إلى الجسر حتى عاد إطلاق النار علينا. عند الساعة الرابعة عصرًا، قال لنا جمال: «علينا العبور بأي طريقة كان والوصول إلى «أحمد آفا» كي لا نتأخر في أداء مهمتنا».

وقفنا بالرتل ثانيةً وانطلقنا نحو الجسر. تقرّر عبور كل مجموعة من 10 عناصر على حدة. وهذه المرة عبرنا نهر «زلم» والنار تتساقط علينا، ويا له من عبور!

أحبطنا استمرار إطلاق النار الشديد علينا حتى بعد العبور. في الجهة الأخرى للجسر، وقف صفري معاون الأخ جمال بين الأشجار، وما إن رآني أنا والأخ قرباني حتى قال: «تابعا طريقكما بين الأشجار إلى أن تصلا إلى «أحمد آفا» وسأرسل باقي العناصر في إثركما». كان قد عبر حتى ذلك الوقت حوالي 40 عنصرًا، وكلّما اقتربنا من «أحمد آفا» اشتدت النيران وأصبحت أكثر دقّةً، فكانت القوات التي سبقتنا تبحث عن مأوًى لها تحت الصخور وقد شُلت حركتهم. وصلنا أنا والأخ قرباني بعد عناء إلى القرية وكان فيها إضافة إلينا، عددٌ من الأكراد المعارضين وبعض الإخوة البواسل الذين وصلوها قبلنا. قررنا التوغّل فيها وتمشيطها وتطهيرها. بعد أن اتخذنا التشكيلة المناسبة للمنطقة، دخلناها وفي الطريق، استوقفنا سماع أصوات عدد من العراقيين. عندما طلبنا منهم الاستسلام، خرج من المنزل عدد من الجرحى مع 6 آخرين. وما إن ابتعدوا قليلًا عن باب المنزل حتى أُطلقت النار عليهم من الجهة اليسرى وسقطوا جميعًا على الأرض. تمترسنا بسرعة وراقبنا المنزل الذي أُطلق منه الرصاص، فتكرّر إطلاق النار نحو الأسرى مجدّدًا. ولما تيقّنت أنهم عراقيون، ناديتهم أن يلقوا سلاحهم ويستسلموا. لكنهم ردّوا بإطلاق النار، وتبعها إطلاق قذيفة «آر بي جي»، دمرت سقف المنزل الذي كانوا فيه على رؤوسهم، بعدها مباشرةً لفت سمعنا صوت ضحكة لبطل يحمل الآر بي جي ويقول: «لقد استحقوا ذلك».

ذهبت إلى المنزل المدمّر مع اثنين من الأكراد، بينما قام الأخ قرباني وباقي العناصر بجمع الأسرى. عندما وصلنا إلى المنزل، سمعت صوت أنين قادم من ناحية النافذة، لضابط عراقي عالق

وسط الركام يطلب المساعدة. صوب أحد الأكراد المرافقين سلاحه إلى رأس الضابط، لكنني أملتها عنه وقلت له: «إنهم أسرانا ويجب الرفق بالأسير». في تلك الأثناء، وصل الأخ جمال مع باقي عناصر الكتيبة وبمساعدة الإخوة تمكنّا من سحب الضابط العراقي من بين الركام ثم أرسلناه مع باقي الأسرى برفقة عدد من الحرّاس إلى الخطوط الخلفيّة. ومع حلول الظلام، كنّا قد أنهينا تمشيط قرية «أحمد آفا».

عند الساعة 7 ليلًا، قالوا لنا أن نصلّي فتيمّمت وصليت، وبعد 5 دقائق انطلق الرتل مجدّدًا. قمنا بجولة قصيرة وعدنا إلى القرية مجددًا. بعد فترة قصيرة، وصل رتل آخر من الإخوة في لواء «ظفر75» بقيادة الأخ صادق. كان الأخ صادق والأخ جمال يتحدثان ويتبادلان الآراء عندما انضممتُ إليهما. كان رأيهما أن نتابع سيرنا ليلًا، لكنني قفزتُ وسط حديثهما وقلت: «إنها الليلة الأولى للعمليات وهناك احتمال كبير أن يشتدّ القصف المتبادل من الجهتين على المنطقة. لذا من الأفضل أن نبقى الليلة هنا». بعد مدة من التشاور تقرّر البقاء في قرية «أحمد آفا» حتى الصباح. بعد تناول العشاء، وجدنا مكانًا مناسبًا للمبيت وأغلقنا سحابات أكياس النوم على أجسامنا المتعبة.

في الصباح، بعد الصلاة وتناول طعام الفطور، بقيتُ حتى الساعة 10 أرصد وأستطلع المنطقة إلى أن جاء الأخ صفوي وقال: «هناك عدة أهداف في المنطقة، ليأت أحدكم للرصد وإعطاء الإحداثيات لمدفعيتنا». بعد التشاور مع الأَخ قرباني، تقرر أن أذهب أنا في هذه المهمة.

انطلقت أنا واثنان من رماة الآر بي جي مع اثنين من حملة الرشاشات برفقة الأخ صفوي نحو منطقة خرمال.

وصلنا أسفل أحد المقارّ البعثيَّة التي سقِطت بأيدينا، وهناك التقينا الأخ صادق الذي قال إنّ المهمة قد أُلغيت. وقفنا في الجهة الأدنى من المكان بانتظار باقي عناصر الكتيبة الذين وصلوا الساعة 12 ظهرًا تقريبًا، فأقمنا صلاة الظهر والعصر وبعد تناول طعام الغداء، انطلق الرتل بين الأخاديد والأشجار إلى أن حان وقت أذان المغرب، فتوقفنا خمس دقائق للصلاة وتناول العشاء ثم تابعنا طريقنا ثانية. في تلك الليلة، سرنا حوالي 8 ساعات قاطعين 3 أنهار غزيرة المياه ومررنا بالقرب من مدينتي خرمال وحلبجة الواقعتين تحت السيطرة العراقية.

عند الساعة الثالثة من بعد منتصف ليل 24 اسفند (14-3-1988)، كنّا قد وصلنا إلى مسافة 2 كلم من ثكنة «زمقي خوارو» في عمق الأراضي العراقية.

طلبوا منا أن نضع حقائب الظهر على الأرض، وأن نخفّف أثقالنا قدر المستطاع. بعد حوالي 10 دقائق تابع الرتل سيره. كنت أنا والأخ قرباني نرافق الرتل لكن تقرر بقاء أحدنا بينما يرافقه الآخر، فإذا ما أُصيب أحدنا يتابع الآخر المهمة. وهكذا بقي الأخ قرباني بينما تابعت أنا السير مع الرتل. بعد مسافة قصيرة، طلبوا منا الانبطاح أرضًا، وكان هذا دليلًا على اقترابنا من ثكنة «زمقي خوارو». لكن لم يمضِ بعض الوقت حتى تراجع الرتل إلى الخلف فالتقيت الأخ جمال وسألته عن الأمر. أجاب: «لقد حدّد المقرّ لنا مهمة أخرى، وبما أننا تمكنّا من التوغّل إلى هذه الدرجة في عمق

أراضي الأعداء، طُلب منّا أن لا نُظهر أنفسنا في المنطقة لأن لدينا مهمة أخطر».

وهكذا عدنا أدراجنا إلى حيث تركنا حقائب الظهر، ومن هناك تابعنا طريقنا إلى قرية «خل همه» المناسبة للبقاء والتخفّي حيث وصلنا إليها عند الساعة الخامسة صباحًا فحططنا رحالنا فيها. بعد صلاة الصبح، عُيّنت نوبة الحراسة واستسلم باقي العناصر للنوم طلبًا لاستراحة تزيل عنهم تعب سير مسافة 30 كلم خلف خطوط العدو وفي عمق مناطقه.

عند الساعة 8:30 من صباح (24 اسفند) 16-3-1988، أيقظنا الأخ جمال ثم غادر مع عدد من العناصر. قرابة الساعة 11 ظهرًا، أنزلت مروحيّتي «شنوك» عددًا من جنود العدو على بعد كيلومترًا واحدًا من مكان وجودنا. في البداية، ظننت أنهم كشفوا أمرنا، لذا أعطيت الإحداثيات لمرابض مدفعيتنا وطلبت تجهيز 3 منصات كاتيوشيا. لم يطل الوقت حتى اتصلوا من مركز التنسيق وأعلنوا الجهوزية لإطلاق النار، فطلبت منهم التريث ريثما تصلهم الأوامر. راقبت حركة الأعداء ورأيت أنهم قد انتظموا في رتل واتجهوا نحو حلبجة، فداخلني سرور لأنهم لم يكشفوا أمرنا بعد، وبالتالي ألغيت أمر إطلاق النار.

عند الساعة 12:40 ظهرًا، عاد عنصران من العناصر التي رافقت جمال في نقل الأسرى الأربعة عشر للخلف، وقالا إن اثنين من الإخوة استشهد وجُرح ثلاثة، وليذهب بعض العناصر لنقلهم، فأرسلت إلى هناك 12 عنصرًا برفقة أحد الإخوة الذين يعرفون مكان الجرحى.

عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، عاد جمال ورفاقه وأخبرونا أنّ عـددًا مـن دبابات العدو تتجه نحو القريـة، وأنه من الأفضل لنا الانتقال للقرية الواقعة أسفل منها.

انتقلنـا تنفيـذًا لأوامر جمـال إلى القرية السفلـى. هناك وبعد الاتصـال بمركز التنسيـق طُلب مني العودة بأسـرع وقت إلى المقر وإعداد تقرير عن أوضاع المنطقة.

تقـرّر عند الساعة 8 ليلًا نقل الجرحـى والشهداء بمساعدة 10 عناصر إلى قرية «أحمد آفا». بعد التحدث إلى جمال، رافقت الرتل إلى «أحمـد آفا» حيث وصلنـا إليها الساعـة 7 صباحًا. ومن هناك تابعنا طريقنا إلى قرية زلم، ملخ خوار، دزلي، مريفان، مثلث حزب الله، سننـدج، بافه، رفانسر، باينـكان وغزيل، حيث قدّمت تقريرًا مع مخطّط المنطقة.

في تلـك الأيام سقطت مدينة حلبجة المظلومة التي تعرضت لأول قصف كيميائي عراقي.

فروردين 1367هـ.ش/ آذار 1988

بعـد تناول طعام الغداء، كنت أنظف الأطباق قرب صهريج الماء، حـين مرّت بـي شاحنة تويوتـا صغيرة وتوقفت قـرب دشمتنا. مهما حدّقت بوجه السائق لم أستطع التعرّف إليه. لم يطل الوقت حتى جاء أحد الإخـوة في المجموعة وقال لي: «انهض يا حجت فالحاج يريدك في أمر». كنت قد أنهيت غسل الأطباق فحملتها ودخلت إلى الدشمة.

فهمـتُ من طريقة جلوس الإخوة وصمتهـم أنّ الشخص القادم ذو مقام كبير. عندما جلستُ بدأ الحاج قاسم الحديث وقال: «هذا

الأخ حجت الذي حدّثتك عنه».

تلاقت نظراتي مع نظرات الضيف الذي بادر بالقول: «تشرفنا».

بعدها، دعانا الحاج قاسم إلى خارج الدشمة من أجل استكمال الحديث. جلسنا ثلاثتنا تحت شجرة وبدأ الحاج قاسم الحديث: «إذا أمكن يا سيد حجت أن تؤجّل الذهاب في مأذونية لمدة من الزمن، لأننا بحاجة إليك في مهمة؟!». فأجبت دون تفكير: «لا يا حاج، جُعلت فداك، لقد أبقيتني هنا ثلاثة أشهر متتالية. أنسيت أنّ لي أبًا وأمًّا؟ عندما كنّا في شلمشة قلت لي أن لا أغادر لأننا بصدد العمليات، فقلت لك على عيني. أحضرتني إلى هنا، وها إن العمليات قد انتهت بالنصر والحمد للّه، وسيطرنا على حلبجة وخرمال وغيرهما، والآن تأتي لتقول لي ثانية أن أؤجّل مأذونيّتي؟!».

ابتسم الحاج وقال: «حسنًا، لا تتسرّع كثيرًا، وكأنّني قد جئت أنا البارحة من طهران؟! على أي حال اسمع ما المطلوب ثم قرّر إن كنت ستبقى أم تذهب. إنه الأخ مرادي من وحدة الاستطلاع في القوات الجوية للحرس وقد جاء لأجل أمر مهم، والآن فلنسمع التفاصيل منه شخصيًّا».

هنا تولّى الأخ مرادي الكلام وقال: «أخ إيرفاني، إنها مهمة استخباراتيّة، تقرّر أن نوكل مهمة إحدى المنصات الصاروخية العراقية التي تقصف مدننا للوائكم، فإذا وافقت لننطلق ونستكمل التفاصيل في الطريق؟».

عندما اطّلعت على خطورة المهمة، نظرت إلى وجه الحاج قاسم الذي ارتسمت عليه ابتسامة الظفر وقلت: «للدرك الأسفل، 3 أشهر ولم أذهب فيها إلى المنزل وإضافة شهر رابع إليها لن يُحدث فرقًا».

بعـد ساعة، انطلقت بالسيارة مـع الأخ مرادي إلى جهة ما. بعد أن قطعنا مسافة سألته: «حسنًا أيها الأخ أين تقع تلك المنصّة؟ وإن أمكن حدّثني عن المكان أكثر».

أجـاب السيد مـرادي: «تقع المنصّـة خلف جبـال «تشهار باغ»، وضمـن أراضي مشـاع «خانقين»، وهـي منصّة متحرّكـة. تقصف وتغادر المكان، يستغرق توضيبها تمهيدًا لنقلها حوالي نصف ساعة، لذا علينا استهدافها أثناء القصف. ما يعني أنّنا بحاجة إلى راصد ماهـر ودقيـق لاستطلاع مكانهـا وإعطاء الإحداثيـات فنتمكّن من تدميرهـا. أرجو أن تنجح في المهمة إذ إنّ نجاحنا سيجعل مدننا في مأمـن من صواريخ «سكود بي»[1] العراقيّة إلى حدّ ما، على أي حال، جميعنا ننتظر نتيجة عملك».

بعـد الحصـول على تلـك المعلومـات، فتحنـا مواضيـع جانبيّة وانشغلنـا بالضحك وسرد الذكريات. ومـن حسن الحظ، كان الأخ مـرادي رادودًا أيضًـا فأمضينـا أوقـات ممتعـة في الطريـق. عند الغروب، توقفنا في «سربل ذهاب» للصلاة وتناول العشاء، ثم تابعنا طريقنا إلى «كيلان غرب». عند الساعة العاشرة تقريبًا وصلنا إلى جبال «غمه كوه» المطلّة على مدينة «خانقين». فحططنا فيها الرحال وبتنا ليلتنا.

عنـد الصبـاح، وبعـد الاستطلاع والحصـول علـى التوجيهات اللازمـة في المرصد، بدأت عملي باسم الله. كان عملًا متعبًا جدًّا، إذ كان علينـا الجلوس في مـكان واحد والتحديـق إلى جهة واحدة بانتظار القصف الصاروخي للأعداء.

1- B scud.

بعـد يومين من الترقب، عند الساعة الثانية من بعد الظهر، ولم ألبـث أن استلمـت نوبتي في الرصد، حتى شاهـدت غبارًا غليظًا في نقطـة بعيدة. أخـذت جهـاز «الكرونومتر» بسرعـة، وحصلت على درجـة الإطلاق. بعد سماع انطلاق الصـاروخ الأول، أجريت بعض المحاسبـات الخاصـة بالرصـد، وحصلت علـى إحداثيـات مكان منصّـة الإطلاق. كانت المنصّة على بعد 43300م، لكن للتأكد أكثر، انتظـرت إطـلاق الصاروخ الثـاني. الـذي انطلق بعـد 6 ساعات، فأجريـت الحسابات ثانيةً وتأكدت مـن صحتها. ولأنني تمكنت من تحديد منصّة صواريخ «سكود بي» بدقّة لم تسعنِ الفرحة.

مباشرةً أعطيت الإحداثيات الدقيقة لمرابض مدفعيتنا بعيدة المدى، وطلبت أن يجهزوا المدفعيّة على تلك الإحداثيات كي ندكّ المنصّة مع إطلاق الصاروخ التالي فنريح شعبنا المسلم والمقاوم من شرّها.

بانتظـار إطلاق الصـاروخ التالي، لم أقف مكتـوف اليدين، بل حصلـت على إحداثيات مواقع للعـدو التي لا تطالها مدفعية الإخوة في الجيـش الإيـراني المستقـرة في المنطقة. وتمكنّـا بحمد اللّٰه من دكّهـا وإنـزال خسائـر فادحة بالعـدو البعثي. منها تدمـير مقرّين عسكريّـين كبيريـن في محيط مدينة خانقين، تدمـير مركز لتجمع منافقـي خلق في محيط جبال «تشهار بـاغ»، تدمير خمسين في المئة مـن مصنع الإسفلت الـذي كان يؤمن احتياجـات الجيش العراقي لإصـلاح وتعبيد الطرق، تدمير مركز لتجمـع الدبابات إضافةً إلى عدد من الأهداف العسكرية الأخرى.

في النهايـة، وصـل اليـوم الموعـود. في الصبـاح وعنـد الساعة

العاشــرة وعشرين دقيقة، عندما كنت أتأكد من جهوزية الإخوة في مرابضــ مدفعيتنــا، صرخ الأخ مرادي فجــأةً: «حجت.. يا حجت.. إنها تضــرب.. تضرب!» كانــت المنصّة تطلــق صاروخها، تمركزت خلــف المنظار مباشــرةً، وأعطيت الأمــر بإطلاق النــار. ما هي إلا لحظــات، حتى أمطــرت المنصّــة بقذائفنا، وسرعان مــا جاء الردّ علــى مرابضنا من مدفعية العــدو بشكل كثيف ومركّز، لكن أبطالنا المضحين والشجعان صمدوا في أماكنهم وتابعوا قصف المنصّة.

عندمــا انتهــى القصــف، كانــت منصّــة صواريخ «سكــود بي» المرابطة خلف جبال «تشهارباغ» قد دمرت بشكل كامل.

حبيب الله[1]

رافقت الحاج حبيب[2] إلى طهران من أجل متابعة شؤون الفرقة. وفي اليـوم الأخـير رافقته لزيارة عوائل الشهـداء كابلي[3]، شيري[4]، صادقي[5] ودزفولي[6]، وهم شهداء قادة من فرقتنا انتقلوا إلى الرفيق الأعلى في عمليات كربلاء 5.

منـذ ما قبل عمليـات كربـلاء 4 و5، لم يذهب الحـاج حبيب في مأذونيّـة، لذا لم يتمكّـن حتى ذلك اليوم من لقـاء عوائل الشهداء، ولأننا تأخرنا عن زيارتهم كل تلك المدة، كانوا عاتبين علينا نوعًا ما.

20 فروردين 1366ه.ش(1987/4/9)، وبعـد إنهـاء عملنـا في طهـران عـدت مع الحـاج حبيب في شاحنـة التويوتـا الصغيرة إلى الأهـواز. ما إن اقتربنا من مدينـة «خرم أباد»، حتى شعرنا بلسعات الهواء البارد. وبالرغم من حلول الربيع، إلا أنّ صقيع جبال خرم آباد مـا زال ينخر العظام. شغل الحاج حبيـب المذياع وكان صوت مارش

1 - أسرد هذه الذكريات نقلًا عن غلام رضا نوشادي.

2 -الحاج حبيب الله كريمي: قائد لواء خاتم الأنبياء المدفعي 63.

3 - حاج حسين كابلي: قائد عمليات اللواء (أعلاه).

4 - حسن شيري: قائد كتيبة الكاتيوشيا في اللواء (أعلاه).

5 - محمد صادقي: قائد كتيبة المدفعيّة 122ملم.

6 - سيروس دزفولي: شهيد في عمليات كربلاء 4.

العمليات يبث خلالها، لكن بسبب عدم وجود هوائي لم يُسمع الصوت بوضوح. حاول الحاج تنظيم الموجة الإذاعيّة لكن دون جدوى. بناءً على طلبه توقفتُ إلى جانب الطريق، فترجّل في ذلك الطقس البارد وراح يبحث عن سلك وعندما وجده ابتكر هوائيًا فتمكنّا من سماع أخبار العمليات.

في الطريق، كان الحاج منزعجًا لأنّ جميع الرفاق ذهبوا بينما تخلّفنا نحن عن المشاركة في العمليات. ومع مارش العمليات الذي يُبثّ من المذياع، كانت صور وجوه الشهداء المبتسمة ابتسامة الظفر تتداعى إلى ذهني. الشهيد الحاج حسين كابلي، حسن شيري، دزفولي، محمد صادقي وغيرهم من الأعزاء الذين استشهدوا في عمليات كربلاء 5.

مع حلول الظلام وصلنا إلى مقرّنا في الأهواز، وفي الصباح أُنجزت التدابير اللازمة لانتقالنا إلى الخطوط الأماميّة. بدا الحاج حبيب الصبور عادةً، لجوجًا لا يقرّ له قرار ويصرّ عليّ للانطلاق بأسرع وقت مردّدًا: «هيا يا رضا، عجّل، هيا لقد تأخرنا!».

أنهيت التحضيرات عند الظهر، وبعد الصلاة جلسنا إلى مائدة الطعام. في طريق شلمشة، كانت الموسيقى العسكريّة ما زالت تُبثّ وقد أعلنت الأخبار عن مباغتة العدو وتقدم جيوش الإسلام. يومها، بدا الحاج في حالٍ عجيبة لم أعهدها من قبل رغم معرفتي الطويلة به.

قبل حلول الغروب، وصلنا إلى مقرّ خاتم الأنبياء المركزي، سألت عن الأخ شمخاني[1]، فقالوا لي إنّه والأخ رحيم صفوي، شفيع زاده[2]،

1- علي شمخاني: قائد المشاة في الحرس سابقًا وقائد القوات البحريّة في الجيش حاليًّا.

2- شفيع زاده: قائد المدفعية في مشاة الحرس.

وقـادة المنطقة في اجتماع. خرجت مـن الدشمة برفقة الحاج. كان وقـت الغسق وعلا صوت الأذان في مكبّر الصوت ما أضفى روحانية أكـبر على المكان. بعد تناول العشـاء، تحدثت إلى الحاج حبيب إلى أن انتهـى الاجتمـاع في السـاعـة 12 منتصف الليـل. عندها ولشدة التعـب تركت الحاج وذهبت إلى دشمـة القيادة لأنام. لم أكد أطبق جفنـي حتى هزّني الحاج وقـال لي: «انهض يا رضا لنذهب»، فقلت له: «الوقت متأخر يا حاج دعك حتى الصباح».

لكـن الحاج أصرّ على الانطلاق ليلًا. مـن دشمة القيادة ذاتها، اتصل الحاج حبيب بالحاج رضا[1] المتمركز في دشمة رابط المقرّ في المخمّس وأعطاه التعليمات حول مهمة الفرقة. أثناء مغادرتنا المقرّ، التقـى الحاج أحد أصدقائه وبعد تبادل التحايا والسلام وقعت عين الحـاج علـى ساعة يـد صديقه، فمازحـه وأصرّ علـى أخذها منه. بعـد توديعه انطلقنـا بالسيارة نحو مركز التنسيـق الكائن في قرية «مندفان».

مـا إن ابتعدنا عدة كيلومترات عن المقرّ حتى قال الحاج: «لربما هـو غير راضٍ لأخذي الساعة، هيـا لنعيدها له». وهكذا رجعنا إلى المقـرّ، لكن صديقه وهبه السـاعـة فانطلقنا ثانية نحو مقر التنسيق وكانت الساعة حينها حوالي الثانية بعد منتصف الليل.

قبـل عدّة كيلومترات من جادة مندفـان، أمطر العدو خرمشهر ومحيطها بقذائف المدفعيـة وصواريخ الكاتيوشيا وغيرها من أنواع القذائف.

بدايـةً، اعتقـدت أنّ العدو يمهّد للهجوم لذلـك يقصف المنطقة

1 - الحاج رضا صادقي: معاون لواء خاتم الأنبياء المدفعي 63.

بهـذه الهمجيّـة. مـا أن دخلنا جـادة «مندفـان» الموصلـة إلى مقرّ التنسيـق، وبينما كنـت أتحدث إلى الحاج حبيـب، اشتممت رائحة القنابـل الكيميائيّـة فقلـت للحاج: «ارفـع الزجاج بسرعـة، العدو يقصف بالسلاح الكيميائيّ».

رفعنا الزجاج وسرت بأقصى سرعة إذ لم نحضر معنا الكمامات من الأهواز.

قطعنا جادة مندفان الترابيـة ووصلنا إلى موقع «نبوي اثنان»[1]، فقـال الحاج: «هيا بنـا، أخشى أن يكـون الإخوة نائمـين، علينا أن نوقظهـم». دخلنا إلى هناك بالسيارة، ومهمـا أطلقت بوق السيارة لم يخـرج أحد، أضأت نور مصابيـح السيارة القوي والضعيف عدة مـرات لكـن دون جدوى. فجأة لمعـت في ذهني فكـرة. رفعت مكبح السيـارة اليدوي وخرجت والحاج حبيب مـن السيارة دون أي قناع واقٍ. اتجهت أنا نحو دشم الجهة اليسرى واتّجه هو نحو دشم الجهة اليمنى لنوقظ الإخوة. بعد أن أيقظتهم اتصلت من دشمة الإسعاف بمقرّ التنسيق وطلبت سيارات إسعاف وفريق الدفاع الكيميائي. ثم خرجـت بحثًا عن الحـاج حبيب وكان قصـف الكاتيوشيا والمدفعية إضافـةً إلى القنابـل الكيميائيّـة ما زال مستمـرًّا. ذهبت إلى حيث السيـارة وناديت الحـاج 7 أو 8 مرات مـا أدّى إلى استنشاقي كمية أكبر من الغازات السامّة وفقدت الوعي على بعد أمتارٍ من السيارة.

عندمـا فتحت عينـيّ كنت في مستشفى الإمـام الحسين[2] عليه السلام. وبعد الاستحمام بالمياه الباردة، نُقلت إلى مستشفى في الأهواز.

1 - موقع نبوي اثنان هو مقرّ التموين والتجهيزات للفرقة.

2 - مستشفى الإمام الحسين عليه السلام، يقع عند جادة دارخوين.

هنـاك علمـت أنّ أحد الإخـوة في الحرس الثوري بعـد أن حقن نفسه بسِت حقن آتروبين[1]، وضع الكمامة على وجهه وأخرج الإخوة الذيـن أُصيبوا بالإغماء من المنطقـة الملوّثة بالغازات السامة وكنت أنا من بينهم.

أمـا الحاج حبيب؛ فبعـد أن أيقظ الإخوة؛ سقـط شهيدًا، قرب الدشمة الأخيرة، بعد استنشاقه كمية كبيرة من الغازات السامّة.

كان ذلـك ليلة 1366/1/22 (1987/4/10)، وبعد أن أنقذ حياة 80 شخصًا.

1 - من الإسعافات الأولية للمصابين بالغازات السامة.

علامة الوصال

صبــاح يوم جمعــة، ذهبت أنــا ويوسف[1] وكاظــم[2] بالسيارة إلى الحمــام العمومــي. كان مــن المقرّر في ذلــك اليوم ومــن أجل بناء بــرج للمراقبــة، أن ننقل قطع جســر خيبري[3] بالقــوارب إلى مكان بــين «الموقــع واحد» والموقع الغربي في جزر مجنــون لتثبيته في مكان مناســب ومن ثــم بناء البرج فوقــه. لكن بما أنه يــوم الجمعة، كان علينــا أن نغتســل غسل الجمعــة أوّلًا، إذ إن يوسف لا يتهاون في هذا الأمر أبدًا ولا يفوّت أي يوم جمعة دون أن يغتسل.

وصلنا إلى الحمام عند الساعة العاشرة صباحًا. ذهبت أنا وكاظم إلى قسم الحمامات الاختصاصيّــة. أنهيت التدليك بالليفة وهممت بالخــروج من تحــت الدشّ، عندها سمعت صــوت يوسف وهو يوصي الجميع بغسل الجمعــة. كان هذا دأبه، كمــا كان سبّاقًا لفعل الخير. تولّى قيادة المجموعة بعد إصابة الحاج ضعيري. قبل أن يصبح يوسف قائد المجموعة المحبوب، كان الصديق الحنون والأخ العزيز على قلبي.

1 - يوسف دايي ماسوله: معاون وحدة الرصد.

2 - كاظــم بانــان متقــي: أحــد الرُصّاد النخــب في الوحــدة وقــد استشهد في "عمليات كربلاء 1".

3 - جســر خيبر: جســر عائم مصنوع مــن الألياف الزجاجيــة والفوم (الرغوة المضغوطة) [Foam+glass Fiber]، مناسب لسير السيارات فوقه واستُخدم أول مرة في عمليات خيبر.

بعد غسل الجمعـة، وخروجنا من الحمام، التقينا الحاج حسين كابلـي وعددًا من عناصر وحدة التنسيق. تبادلنا التحيّات والسلام ثـم ودعناهم وتابعنـا طريقنا نحـو جزيرة مجنـون، ووصلنا قبيل الظهـر إلى مرصد الموقـع 8 المائي[1]. كان يوسـف في أغلب الأوقات يؤمّنا في الصلاة، وكنّا في الوحدة نأتمّ به ما أمكن. لكن ذلك اليوم، مهمـا أصررت لم يرضَ أن يؤمّنـا في الصلاة. لـذا صلّينا فرادى وصلّـى يوسف في إحـدى زوايا الدشمة، كأنمـا أراد الخلوة بخالقه للتوسل والعبادة.

بعد الصـلاة وتناول الغـداء انطلقنـا بالسيـارة. كانت ملامح يوسف ذلك اليوم مختلفة، كان باسم الوجه قليل الكلام.

عند الساعة 2:30 من بعد الظهر، وصلنا إلى «الموقع (5)» المائي. قـال لي يوسف: «اذهب أنت وكاظم وأحضرا «جسر خيبر» بالقارب الكبير إلى «الموقع 1» المائي وسوف أنتظركما هناك».

لم أشـأ تـرك يوسف وحده بعدما رأيت مـن علامات وجهه، لذا قلـت له: «سوف آتـي معك يا سيد يوسف ويتبعنـا كاظم بالقارب». لكنّـه رفض ذلك وقـال: «لا، بل اذهب مع كاظـم وسوف أنتظركما هناك، هيا أسرعا».

غـادر يوسف المرسى بالسيارة قاصدًا الموقع المائي رقم 1، بينما ذهبت أنا وكاظم إلى دشمة الإخوة في القوات البحرية. بعد التنسيق الـلازم تمكنّـا بمساعـدة الرُبّان مـن ربط جسر خيـبري بالقارب وانطلقنـا. وصلنا إلى الموقـع المائي رقـم (4) دون أي عقبة تُذكر، لكـن بعدها، أصبح مجرى الميـاه ضيّقًا وكان الجسر يعلق بالقصب

1 - كان برج المراقبة في الموقع المائي 8، يرتفع 32 مترًا ويقع شمالي جزيرة مجنون.

على جانبي المجرى مرارًا وتكرارًا إلى أن انقطع الحبل. أعدنا ربطه بالقارب بمشقّة وعناء كبيريـن، لكن بعد أن قطعنا مسافة قصيرة انقطـع الحبل ثانيةً. هذه المرة اضطررنـا لربط الجسر بزاوية من زوايـا الموقع المائي(4) فترجلت أنا وكاظم من القارب بينما عاد به الربّان إلى المرسى. بسبب عدم توفّر سيارات، اضطررنا للسير على أقدامنـا لنصـل إلى الموقع المائي المركزي علـى أمل أن نجد هناك سيارة تقلّنا إلى الموقع المائي رقم (1)؛ لكن لم يسعفنا الحظ.

بعد أن قطعنا مسافة، وصلت سيارة استيشن وأقلّتنا إلى منتصف الطريـق. كانت السـاعـة الرابعة من بعد الظهر عندمـا وصلنا إلى الموقـع المائي رقم (1)، لكننا لم نجد يوسف هنـاك. ظننا أنّه ذهب إلى مكان ما فانتظرناه نصف ساعة دون جدوى. عند تقاطع الموقع (1) والموقـع المركـزي، يوجد منجم للرمل وقـد بُنيت عدّة دشم في محيطـه. قلـت في نفسي، لا بـدّ أنه ذهـب إلى هنـاك ليحتمي من قصف العدو العشوائي. طلبت من كاظم أن ينتظرني قرب التقاطع لأذهـب وألقي نظرة على المنجم المحـاط بساتر ترابي مربع الشكل بطول 150م. يوجد في الجهة اليمنى من المنجم تلّ كبير من الرمال والحصى الصغـيرة، وفي جهته اليسرى عدد مـن الدشم المدمّرة، كمـا لمحت جرّافة وحفّارة في نهايته. نظرت في أنحاء المنجم لكن لا أثر ليوسف. يبـدو أن قذيفة انفجرت بالقرب من الحفّارة وحولتها إلى ما يشبه المصفاة. كنت أسير نحوها عندما ناداني كاظم وقال: «مـا الأمر يا حجت؟ إذا لم تجد يوسف هناك فلنذهب من هنا قبل حلول الظلام».

يئست من البحث عن يوسف فعدت مع كاظم إلى مرصد الموقع المائي

رقم (8) الذي وصلنا إليه عند أذان المغرب وبعد أن أنهكنا التعب.

بعد الصلاة، جاء الأخ «حسين سنكرغير» ليصطحبنا إلى الخطوط الخلفيّة. هناك تناولنا العشاء ثم ذهبنا برفقة الأخ حسين إلى موقع قائم[1].

كان حسين من الإخوة المجدّين ومن الرُصّاد القدامى في الحرس، وكان أول لقاء لي معه في العام 1984م في ثكنة أبو ذر. في ذلك الوقت، كان حسين مدرّبنا في الرصد؛ شاب مؤمن متواضع. أذكر أنني في إحدى الليالي لم أستطع النوم فجلست أقرأ كتابًا، وبينما أنا كذلك سمعت صوتًا وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، نظرت من الباب مستوضحًا فرأيت حسين يصلّي صلاة الليل. كان حسين في البداية راصدًا في فرقة «الرسول 27 ﷺ»، لكن بسبب خلافاته مع وحدة المدفعية في الفرقة تركهم وانضمّ إلى مجموعتنا وعاون يوسف في إدارتها. حسين هو الابن الوحيد للأسرة واليد اليمنى لأبيه. اسمه في بطاقة الهوية «هدايت» لكن لشدّة عشقه لمولاه سيد الأحرار، اختار لنفسه اسم «حسين». كان الأخ الحنون لنا، وكان الإخوة يتحلّقون حوله تحلّق الفراشات حول الشمعة. لكنه حين العمل والجدّ، كان لا ينفكّ يردّد الآية المباركة: «واستقم كما أُمرت».

في الطريق، لم يكن حسين على ما يرام، ومهما سألته عن يوسف تهرّب من الإجابة إلى أن وصلنا إلى موقع «قائم». هناك قال: «لقد أطلقنا اسم الشهيد «يوسف دايي ماسوله» على الحسينيّة». فانتفضت وقلت: «ماذا تقصد؟». أجابني: «لقد استشهد يوسف».

1 - موقع قائم: يشكّل الخطوط الخلفيّة ومكان تجهيز الفرقة.

تصبّب منّي عرق بارد، ترجّلت من السيارة مذهولًا ودخلت الدشمة. هناك، تسمّرت في مكاني. لقد علا صوت القرآن في المكان، وجلس كلّ واحد من الإخوة مغمومًا في زاوية قد ضمّ ركبتيه إليه، ورُفعت الراية السوداء على مدخل الدشمة. عندما نظرت إلى جسد يوسف، رأيت أنه قد قبض كفّه الأيمن. لقد سقط يوسف خلف تلك الحفّارة المدمّرة في منجم الرمل. ولشدّة الألم والعطش نهش الأرض بأظافره إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة واستشهد باسِمَ الثغر.

بعد استشهاد يوسف، تولّى حسين قيادة المجموعة.

بعد عدّة أيام ذهبت مع رمضان[1] إلى مرصد الموقع المائي (2) في جزيرة مجنون، وهناك أخبرني أنّ حسين قال ليوسف قبل عدة أيام من استشهاده: «يوسف! أراك أكثر روعة هذه الأيام! وكأنك تريد التحليق! لكن أعلم أنني لن ألبث أن ألحق بك».

في ذلك اليوم، حملوا لنا نبأ استشهاد حسين. لقد استشهد بالضبط بعد 17 يومًا من شهادة يوسف.

1 - رمضان تقي زاده: راصد مخلص ونموذج فريد في الفرقة، استشهد بعد عمليات والفجر 8 في منطقة خسرو آباد.

نافذة على الشمس

ليلـة (1988/6/13)، بـدأت قواتنا هجومًا واسعًـا في شلمشة، وبعون الله تمكّنوا من التقدم والوصول إلى محيط القناة المزدوجة، وقد أنزل التعبويون خسائر فادحة بالعدو البعثي.

بعـد تناول طعـام الفطور، انطلقـتُ مع راصديـن سيّارين على دراجات ناريّة من نوع «تربل كوبر 125» نحو منطقة «نوك مدادي».

كانـت مهمتنا استطلاع أوضاع قواتنـا وقوات العدو، إضافة إلى تمركز فريق الرصد هناك.

حملت معي: المخطّط، جهاز اللاسلكي، البوصلة، المنظار، القناع الواقـي من الغـازات السامة وغيرهـا مـن الأدوات اللازمة. كانت جادة «صفـوي» مليئة بعتاد الإسناد من دبابـات، ناقلات جند «بي أم بي» وغيرها من التجهيزات. كانت رائحة البارود ورائحة «الثوم» المنبعثـة من القنابـل الكيميائية تغطي المـكان، والدخان الناتج عن انفجـار القذائف الإيرانيّة والعراقيّة علـى السواء قد حجب الرؤية إلى حدٍّ ما.

بعـد 15 دقيقة من سيرنا، قطعنا جـادة صفوي وبابايي، ودخلنا إلى المخمّـس. بدايةً ذهبت إلى المقرّ السابـق في المخمّس للحصول على بعض الماء والطعام للفريق.

كان محيـط المقـرّ مليئًا بمدرّعـات، دبابات وآليـات العدو التي

علقت بنيران تعبويّينا الأبطال الغاضبون. وقد زُرع المكان بأجساد أعداء لبسوا ثياب الحرب توهّمًا منهم أنهم قادرون على انتهاك حرماتنا وحدودنا الجغرافية. كل ما تراه بالعين حكى بطولات تعبويين أشداء على الأعداء.

بعد الحصول على قدر من الخبز والمعلبات وعبوات المياه المعدنية، انطلقنا نحو منطقة «نوك مدادي». وصلنا إلى المكان وكان فصيلًا من مشاتنا قد تمترس خلف الساتر الترابي. رأيت في المكان حوالي 15 دبابة وأجساد سريّة من مشاة الأعداء حاولوا اختراق الخط لكن أشبالنا تصدّوا لهم ببطولة ودمّروا عددًا من دباباتهم. مجموعة شبّان حديثي السنّ صمدوا وقاوموا وانتصروا على سِرية من مشاة العدو مدعّمة بالدبابات. إنهم مصداق «واستقم كما أُمرت».

وددت كثيرًا لو أبقى بينهم، لكن هناك مهمة بانتظاري. بعد استطلاع أوضاع قواتنا وقوات العدو، وتثبيت نقطة الرصد، قفلتُ عائدًا إلى مركز التنسيق. عند أول جادة بابائي لفتني شاب متوقف إلى جانب الطريق يحملق بي. أشار لي بيده كي أتوقف فتوقفت على بعد أمتار منه. لم يكن يتجاوز السابعة عشرة من العمر ولم تكن محاسنه قد نبتت بعد. كان يرتدي الزيّ الكاكي ويضع شعار «يا فاطمة الزهراء» على صدره، كما تدلّت الكوفيّة من عنقه.

تقدّم نحوي بخطوات واسعة وقال على عجل: «سلام يا أخي. عافاك الله، عذرًا منك لكن هل تعرف أين خط الفرقة؟ أنا من الفرقة 27 وقد أضعت رفاقي في الكتيبة وأريد الالتحاق بهم في الخط الأمامي حيث ذهبوا».

تأملته وكانت الأوعية الدمويّة الشعيريّة بارزة في بياض عينيه،

كان يلهث وحاله مزرية جدًا. فقلت له:

– من أي كتيبة أنت؟

– حبيب.. من كتيبة حبيب.

– وكيف أضعت رفاقك؟

– للحقيقة، كنّا في الخط الأمامي الليلة الماضية وتوغّلنا في الجبهة، لكن العراقيين قصفونا بالقنابل الكيميائيّة وقد انفجرت إحداها بالقرب منّي فشعرت بدوار وسقطت أرضًا، بعدها وضعوني على حمّالة الجرحى ونقلوني إلى الخطوط الخلفيّة. ومهما أخبرتهم أنني بخير لم يستجيبوا لي، لذا فررت من قسم الطوارئ صباحًا، والآن أريد الذهاب إلى الخط للالتحاق برفاقي. هل تقلّني إلى هناك؟ هل تعرف أين هي كتيبة حبيب؟

كنت أفكر كيف يكون لصبيّ صغير هذه الروحيّة السماويّة وهذا العشق للخط وللجبهة. وكيف أصبح كطفل انفصل عن أمه عندما ابتعد عن رفاقه لم يعد يقرّ له قرار. قلت في نفسي: «كثيرون في مثل عمره ما زالوا يأخذون مصروفهم اليومي من والديهم حتى الآن، لكن هذا الطفل الرجل يأسف ويحزن لأنه ابتعد عن رفاقه في الكتيبة وتخلّف عنهم».

قرّرت أن أوصله إلى الخط فيحقّق أمنيته، لكن عندما حدقت في عينيه الحمراوين، قلت في نفسي: «إنه ليس على ما يرام وقد أُصيب بالغازات السامة وليس من الصلاح نقله إلى الخط الأمامي».

أخذت قراري وقلت له: «اركب».

بعد لحظات كنت أقود على الجادّة مع صبيّ من أتراك إيران.

- ما اسمك؟

- سيد شاه مرادي.

- من أي مدينة أنت؟

- من طهران، شارع آهنك.

بعد أن مرّت دقيقة صمت سأل:

- يا أخ، هل نحن ذاهبون للأمام؟

- أجل. (طبعًا كنت أكذب لكنه كذب لأجل مصلحة)

- يا أخ، أنا أعرف هذه الطريق، إنه يؤدي إلى الخطوط الخلفيّة.

- لم يبق الكثير لأذان الظهر، سأوصلك إلى خط الفرقة الخلفي ومن هناك تعود للخط الأمامي مع سيارة نقل الطعام.

لم أقطع مئة متر حتى قال ثانية:

- يا أخ ألا يمكنك أخذي للخط الأمامي الآن؟

- لا تحزن يا سيد، ستذهب إلى هناك بسيارة نقل الطعام، كن مطمئنًّا.

كنت أعلم أنني لم أستطع إقناعه، فعاد للإلحاح ثانية:

- بالله عليك يا أخي، لا تأخذني إلى الخطوط الخلفيّة، أنزلني هنا. لا أريدك أن تأخذني إلى أي مكان، سأذهب وحدي وأجد الخط بنفسي!

ظلّ يعيد ويكرّر توسلاته: «لا تأخذني للخط الخلفي، أنزلني هنا، دعني وشأني، خذني للأمام..». إلى أن وصلنا إلى الخط الخلفي لفرقة الرسول ﷺ، جادة الشهيد صفوي. هناك سألنا عن

دشمــة كتيبة حبيــب، وكان أحد القــادة ما زال هنــاك لأجل تأمين الإسنــاد وغيره. ما إن رآني مع السيد حتى خرج من الدشمة وقال: «مــاذا تفعل هنا يا أخ شاه مــرادي؟ ألم يكن من المقرّر ذهابك إلى مركز الطوارئ؟».

لم يكـد ينهي كلامه حتى بدأ السيد: «أقسم باللّه إنني بخير ولا أشكو من شيء. دعني أذهب للأمام، لقد ذهب الإخوة بينما..».

مشهـد توسل هـذا السيد الفتي للسماح لـه بالذهاب إلى الخط الأمامــي، ذكّـرني بعاشــوراء والقاسم الــذي كان يصــرّ على عمّه السماح لــه بالنزال ونيل الشهادة التي كانت بالنسبة إليه أحلى من العســل. قبل أن يلتفت السيّد إليّ ليعاتبني بعينيه البريئتين المليئتين بالدماء، خرجــت من الدشمة بهدوء وانطلقت نحو مركز التنسيق. كنت أقــود دراجتي وأفكر بهذه الدنيا الكبيرة التي سكنت قلب هذا الفتى الصغير وقد شرّع نوافذه نحو الشمس. كم أغبط هذا الفتى!

سقوط معمل البتروكيميائي

توقعنـا هجـوم العدو في الليلـة الماضية وكنّا في حالـة استنفار، ولأنني نمـت في وقت متأخر، عدتُ وخلدت للنوم بعد صلاة الفجر. عنـد الساعة الثامنة صباحًـا، أيقظني مجتبى وقـال: «هيا انهض مائدة الطعام جاهزة».

وبعد تناول طعام الفطور، قال لي الحاج قاسم: «حسنًا يا حجت، اذهب أنت ومجتبى إلى مربض المدفعيّة وابدآ العمل».

منـذ بضعة أيام، وضعت وحدة المدفعية أحد مدافعها الثقيلة في عنبر كبير قبالة مصنع البصرة للبتروكيميائيات تمهيدًا لدكّه. وبما أن المصنـع أضخـم وأعلى مبنى في الجنوب، فقـد استخدمه العدو كنقطـة استراتيجيـة مشرفة [على مواقعنا] حتـى عمق 50 كلم من أرضنـا. بعد عمليات «كربلاء 5» التي جرت بالقرب منه، استخدمه العـدو للاستطـلاع والرصد وجمـع المعلومات لتزويـد قادتهم بها. لذا وضع فريقنـا هدف «تدمير المصنع» نصب عينيه وأخذ يخطّط لذلك منذ مدة.

أخـذت معي الخريطة، البوصلـة، الكرونومتر والمنظار، وذهبت مع الأخ مجتبى علي مرداني إلى مربض المدفع.

عبرنـا المخمّس وساحـة الإمام الرضـا عليه السلام، ووصلنا إلى عنبر المدفـع. كان الإخوة القيّمون عليه يعملون على تجهيزه. وقد أضافوا

إليه منظار التسديد.

بنداء الله أكبر أعطي الأمر لانطلاق القذيفة الأولى، ومع كلمة «جانم فداي رهبر»[1] انطلقت لتستقرّ بعد عدة ثوان في قلب المصنع. قلت لهم أن يُطلقوا القذيفة الثانية بنفس الإحداثيات. فانطلقت الثانية بنداء «الله أكبر» على وقع نداء «خميني رهبر»[2] خرجت من السبطانة لتنفجر أيضًا داخل المصنع. قذائفنا الثالثة والرابعة والخامسة أيضًا أصابت الهدف بشكل مباشر وأعملت في المبنى الثقوب والفجوات الكبيرة.

عندما شعر العدو أنه عاجز أمام قصفنا، راح يمطر خطّنا الأوّل والثاني بأنواع القذائف. كان مدفعنا في عنبر مقابل لمسطح مائي، لذا عجز العدو عن تحديد مكانه. وبما أن المصنع نقطة استراتيجية للعدو، فقد أرسل طائراته عدة مرات لاستطلاع مكان مدفعيتنا وتدميره، لكن بلطف الله باءت كل محاولاتهم بالفشل.

اتصلت عبر اللاسلكي بالراصد الشجاع الذي كان يرصد المنطقة من برج المراقبة خلفنا والبالغ ارتفاعه 60م وقلت له: «استطلع مكان مدفعية العدو الناشطة وأعطِنا الإحداثيات لقصفها وإسكاتها».

تابعت قصف المصنع، فاستقرت القذيفة السادسة والسابعة يمين المبنى فترنّح قليلًا. عندها صحّحت زاوية الإطلاق لليسار قليلًا كي نوجّه الضربات لمر سلالم المبنى. كنت أجلس بالقرب من مجتبى فقلت له: «رؤية هذا المبنى ساقطًا بحاجة إلى توفيق إلهي كبير».

1 - روحي فداء للقائد.

2 - خميني قائد.

ونحــن كذلــك، أعلن الإخــوة الجهوزيــة للإطلاق. بنــداء «وما رميــت إذ رميــت»، والجــواب «ولكن اللّه رمــى»، انطلقــت القذيفة الثامنــة لتصيب ممــر السلالم. اهتزّ المبنى لليمــين أولًا ثم لليسار وعــاد ليستقر مكانه. لكــن ما هي إلا لحظات حتــى انهار في مكانه وتصاعدت الأتربة الناتجة عن سقوطه إلى عنان السماء على شكل نبتة فطر كبير جدًا. ذهلنا لهذا المشهد وساد الصمت، كأنما فقدنا القدرة على الكلام، لكن ما هي إلا دقائق حتى شقت صياحات اللّه أكــبر أعنان السماء وراح الإخوة يقفــزون فرحًا. كان جميع الإخوة العابرين والمارّين في المــكان سواء بالسيارات أو الدراجات النارية، يصعدون أعلى الساتر الترابي ليشاهدوا المنظر.

كان ذلك بتاريخ 1987/4/14 الساعة 10:20 صباحًا.

تويوتا الإمداد الغيبي

خلال العمليـات التي جرت منذ بضعة أيام، تحررت جادة أهواز – خرمشهـر، وتمركزت قواتنا عند الساتـر الترابي المُقام على تلك الطريق.

عند الساعـة الثالثة من بعد ظهـر (1988/7/24)، كنت أنتقل برفقة الأخوين رضا بهرامي نسـب، وتوكلي وعنصرين آخرين من مرصـد خرمشهـر إلى مثلـث الحسينيـة. ما أن اقتربنـا من جادة شفيع زاده حتى خطر ببالي أن نذهب ونستطلع المدى الذي انسحب العدو منه.

انعطفنـا نحو جادة شفيـع زاده وعبرنا خـط السكة الحديدية، كان هنـاك عدد مـن الإخوة، مـا إن رأونا حتى أخـذوا يلوحون لنا بأيديهم، فأجبت على تلويحهم بإطلاق بوق السيارة. عبرنا بالقرب منهـم وتابعنا طريقنا. بعد أن قطعنا حـوالي كيلومترًا واحدًا رأيت 4 عناصـر جالسين خلف الساتر الترابي قـد تحلقوا حول خريطة، وعلـى بُعد أمتار منهم دراجتـان ناريتان. أطلقت بوق السيارة تحية لهم وردّوا التحية بالتلويح باليد.

كانـت الطريـق رمليّـة مليئـة بالحفـر والتعرجات إثـر انفجار القذائف فيها، لذا أُجبرت على تخفيف السرعة.

كنـت أسـير بسرعة 50 كلـم في الساعة، عندما رأيـت في المرآة

درّاج يتبعنـــا، وكان يضيء ويُطفئ مصباح دراجته باستمرار، فقلت في نفســي: «لا بد وأنه يريد السؤال عــن أمر ما». توقفت إلى جانب الطريق وانتظرته. بدا سائق الدراجة مضطربًا وقلقًا، سألني:

- إلى أين بهذه السرعة يا أخ؟

- إلى أول الخط لأرى إلى أي مدى تقدم الإخوة!

ضحــك الدرّاج بمرارة وقال: «يقع خطّنا الأول إلى مسافة 4 كلم للخلــف، وهو حاليًّا عند جادة أهــواز - خرمشهر. هيا عد أدراجك قبل أن تقع فريسة الدبابات العراقية».

عندهــا انعطفــت وعــدت أدراجــي. وقفــت حيــث الدراجتــان الناريتــان وكانتا للأخوة من كتيبة أبو ذر في فرقة «حضرة الرسول ﷺ 27» وقــد جــاؤوا لاستطلاع المنطقة. بعد تبــادل التحية والسلام عرّفتهم نفسي ثم استعرت إحدى الدراجتين لأذهب وأستطلع مكان وجــود العراقيين. أخذت السلاح من خلف مقعد شاحنة التويوتا مع مخزني رصاص. وضعت السلاح على صدري والمخزنين في حزامي ثم جلست على الدراجة. عندما أردت الانطلاق شعرت أنّ الدراجة قد ثقُلت، التفتّ فألفيت رضا بهرامي جالسًا خلفي وقال لي:

- دعنــي أرافقك، إذ كيف ستتصرف وحدك وتطلق النار إذا ما التقيت الأعداء؟

الحــق معه! أعطيته السلاح ومخــزني الرصاص، بينما حملت المنظــار والبوصلة والخريطــة ثم انطلقنا. كنّــا كل 500م ننزل عن الدراجــة ونستطلــع المــكان بالمنظار، ثــم نعود للحركــة من جديد. قطعنا حــوالي 3 كلم بهذه الطريقــة إلى أن وصلنا إلى ساتر ترابي طويــل يمتد بمــوازاة جــادة أهواز-خرمشهر. نزلنا عــن الدراجة،

ورحت أستطلع المكان من خلف الساتر. رأيت على بعد 500م من مكاننا، مربضًا لمدفعيتنا لكنه كان خاليًا من المدافع عدا مضادًا للطائرات عيار 22ملم. كان هناك أيضًا دبابة عراقية على بُعد 800م لكنها لا تتحرك. بدت الدبابة بحالة جيدة، لكن الله وحده يعلم إن كان بداخلها جنود عراقيون أم لا!

توكّلنا على الله وانطلقنا نحو مربض المدفعية. بدايةً قمنا بتمشيط المكان مستخدمين السلاح والقنابل اليدوية وعندما تأكدنا من خلو الدشم من الأعداء، ذهبنا بالدراجة إلى حيث مضاد الطائرات. بعد أن جهز الأخ رضا المضاد لنقله، قفلنا عائدين للخلف من أجل إحضار شاحنة التويوتا وجرّ المضاد إلى خطوطنا.

بعد أن أخذت السلاح من خلف مقاعد السيارة، وزّعتها على الإخوة وانطلقنا نحو مربض المدفعيّة. لكن لم نكد نسير عدة أمتار حتى انطفأ محرّك الشاحنة، ليدور بعد عدة دقائق ونعاود حركتنا. تكرر الأمر ثانية فانطفأ المحرّك ودار بعد دقائق. بعد أن تكرّر الأمر 3 مرات، ترجّلت وتفحّصت كربراتير المحرّك. كان كل شيء على ما يرام. أدرت المحرك مرة أخرى، لكن لم نسر مسافة قصيرة حتى انطفأ. حينها قال رضا: «أخشى أن نذهب لنحضر المضاد، فنضطرّ لترك السيارة هناك إذا استمر الحال على هذا المنوال».

عندها استدرت وعدت أدراجي نحو جادة أهواز – خرمشهر. بعد أن قطعنا حوالي كيلو مترًا واحداً، شعرت أن السيارة بحالة ممتازة وأنّ المشكلة قد حُلّت. عندها استدرت نحو المربض ثانية، لكنها عادت سيرتها الأولى. وهكذا استدرت مجددًا نحو جادة أهواز – خرمشهر. وللعجب كانت تسير كالحصان! أثار فضولي أمر هذه

السيارة، فعدتُ نحو المربض، لكن كلّما اتجهنا نحو المربض انطفأ محركها وكلما سرنا بالاتجاه المعاكس عادت إلى رشدها! ولأنّ الأمر تكرّر عدة مرات شعرت أنّ لا خير في العودة إلى المربض فرجعنا إلى الخط الخلفي قرب مثلث الحسينيّة.

فيما بعد، علمت أنّ الدبابة التي كانت تقف هناك دون حراك، قد أطلقت النار ناحية عناصرنا، ولو أننا ذهبنا بشاحنة التويوتا إلى مكان المربض لكان من المحال عودتنا أحياء. كانت تلك الدبابة تراقب كل تحركاتنا.

ربما كان تصديق هذه القصة صعبًا للبعض، لكن من واجبي سرد الوقائع كما هي.

مرصد الشهيد ملكي

ليلة (1988/5/20) ، حدّثـت نفسي قبل النوم: «من الأفضل أن أتفقّـد دشمة الإخـوة الرُصّاد». وهكذا خرجت مـن الدشمة. كانت تلك الليلة باردة والسماء متلألئة بالنجوم.

وجدت مصباح الدشمة مضاءً والإخوة يتبادلون الأحاديث. قلت «يا اللّه» ودخلت. ألقيت السلام وكان أحد الإخوة يتحدث عن مهمة الرصد التي قام بها وعن تحركات الأعداء، عن العمليات الهندسية والمهمات التي قام بها من أجل تدمير أو إيجاد اختلال في صفوف العدو.

بعد أن أنهى الأخ رضا كلامه، سألت الإخـوة الذين عـادوا حديثًا من مراكز الرصد عن أوضاع المنطقة وأوضاع قواتنا وقوات الأعداء. بعد الحصول على المعلومات، ذهبت إلى مقرّ التنسيق وتحدّثت عبر اللاسلكي الأول مع مرصد الشهيد مؤمني وقلت: «ليكن الأخ مهدوي جاهزًا في الصباح فسوف آتي لاصطحابه والذهاب إلى الخط الأمامي».

كان «مرصـد مؤمنـي» عبارة عن بـرج بارتفـاع 60م على عمود التوتّـر العالي للكهرباء يمين منطقة العمليـات. انضمّ الأخ مهدوي لوحدتنـا قبل سنتين وقد شارف على إنهـاء خدمته العسكرية. كان عندمـا يعتلي الـبرج يعمل بكل إخلاص واندفـاع، وعندما يعود إلى

الخطوط الخلفيّة يشارك في جميع الأعمال من الحفر إلى اللِحام أو أي عمل آخر. كان طيب القلب والمعشر والجميع راضون عنه.

بعد ذلك، اتصلت بمرصد الشهيد كابلي وقلت: «ليكن الأخ كبابيان مستعدًّا فسوف أصطحبه قبل ظهر غدٍ إلى الخط الأمامي».

يقع مرصد كابلي خلف مخمّس الأضلاع، وهو برج مصنوع من نوع من الأحجار ويرتفع 28م. كان الأخ كبابيان جنديًا في قاعدة مدينة ري، وقد جاء في مهمة إلى وحدتنا. لم أكن أعرفه جيدًا، لكنه كان إنسانًا متواضعًا صادقًا ومن المحبّين الراسخين لآل البيت عليهم السلام.

عند الساعة العاشرة ليلًا أنهيت اتصالاتي وقلت للسيد حسيني الذي كان موجودًا في مقرّ التنسيق: «سأكون في عنبر الاستطلاع إذا احتاجني أحدهم لأمر ما». بعدها، عدت إلى عنبرنا وقرأت تقرير المقرّ الذي يشير إلى الوضع العام في المنطقة. وضبت كل ما يلزم للصباح ثم ذهبت للنوم وكان الفراش عبارة عن بطانية تحت الرأس وأخرى تحت الجسم، هذا كل شيء.

في الصباح، حملت المنظار والخريطة والبوصلة والكمامة وخرجت. أخبرت السيد أنني ذاهب إلى «مرصد مؤمني» ثم ذهبت وتفقدت الدراجة النارية وكانت من نوع هوندا تريل 125.

بعد التأكّد من الوقود وزيت المحرّك انطلقت نحو المرصد وكانت الطريق إليه مليئة بالحفر التي سبّبتها الانفجارات. ذلك الصباح، كانت الشمس تنسج أولى خيوط أشعتها على سهوب الجنوب، وقد لفحني هواء الربيع المنعش. حددت في ذهني الدروب التي يجب أن أقطعها لأصل إلى الخط ووصلت بعد ربع ساعة إلى مرصد مؤمني. عندما سمع الإخوة صوت دراجة مألوفة لديهم خرجوا من

الدشمة. تبادلنا السلام ودعوني إلى مائدة طعام الفطور. ولأنني أعلم أنني لن أجد مكانًا آخر لتناول الطعام، ركنت الدراجة جانبًا ولبيت الدعوة. اجتمع الإخوة حول المائدة لكنني لم أرَ مهدوي بينهم، وعندما سألت عنه أجاب أحدهم: «أخ حجت! كانت نوبتي الليلة الماضية لكنني لم أكن على ما يرام، لذا ذهب الأخ مهدوي بدلًا منّي للرصد أعلى البرج». ما إن أنهى كلامه حتى رأينا الأخ مهدوي بوجهه المبتسم واقفًا في الباب. جلس إلى المائدة بالقرب منّي وكانت عيناه محمرّتين من طول السهر وعدم النوم، كما إنّه نفذ عدة مهام في استطلاع الأعداء وإعطاء الإحداثيات لمرابضنا.

بعد تناول طعام الفطور، ولأنّ الأخ مهدوي مرهق جدًّا بسبب السهر حتى الصباح، قلت له:

– لقد كنت طوال الليل أعلى البرجٍ وبالتأكيد أنت متعب جدًّا، فابقَ هنا وسأصطحب شخصًا آخر بدلًا منك».

– لكنّه أجاب بسرعة وعزم: «لا يا سيد حجت، لست متعبًا على الإطلاق، بل إنني نشيط وبكامل قواي. حتى إنّني أرغب كثيرًا في الذهاب إلى الأمام، حيث إنني لم أستطع تمييز بعض نشاطات الأعداء بسبب بعد المسافة».

تلاقت نظراتنا وانتظر هو الجواب! بعد دقائق، كنا أنا وهو على الدراجة متجهين إلى «كله كاي»[1]. كانت الطريق الترابية مليئة بالحفر، ولأنّه كان ضخم الجثّة نوعًا ما، كانت العجلة الخلفيّة للدراجة تصطك بالحاجب عند كل سقوط في حفرة. فقلت له ممازحًا: «يبدو أنه لم يعد بالإمكان نقلك على دراجة 125، ذكرني

1 - gahvey Kaleh: رأس البقر، اسم منطقة على يمين منطقة عمليات «كربلاء 5».

في المرة القادمة أن أحضر دراجة 250». وشرعنا بالضحك. أشرقت الشمس وأصبحت الرؤية جيدة، وكالعادة انشغل الرُصّاد في كلا الجانبين أي العراق وإيران في جمع المعلومات وإعطاء الإحداثيات لمرابض مدفعياتهما.

وصلنا إلى مكان قريب من «كله كاني» عندما بدأ تساقط قذائف الهاون ورصاص القناص فوق رأسينا، وشاء الله أن ننجو منها ونصل سالمين إلى المرصد. كان وضع المرصد جيدًا إلى حدٍّ ما، وقد تولى الإخوة في فرقة «ثار الله 41» بناءه.

كان الدافع من إحضار الإخوة الرُصّاد العاملين في أبراج الرصد المرتفعة المشرفة على مجمل المنطقة إلى الأبراج الموجودة في الخط الأمامي والقليلة الارتفاع نسبيًا، أن يحصلوا على تفاصيل أكثر عمّا رأوه وعاينوه من أبراجهم البعيدة، كمدرعات الأعداء وتحصيناتهم، عوائقهم وطرقاتهم. كما يستطيعون من خلال الرصد في هذه الأبراج القريبة من خط العدو أن يحددوا الأهداف بشكل أدقّ تمهيدًا لإعطاء الإحداثيات لمرابضنا، وبالتالي إنزال خسائر أكبر في صفوف العدو. يستطيع الراصد الموجود في الأبراج الأمامية أن يزوّدنا بالمعلومات بنحو أسرع، عن تحركات الأعداء المشبوهة أو أي حادثة وهجوم وشيكٍ، كما يُبقينا على اطلاع مباشر ودقيق على آخر وأهم مستجدات الجبهة.

بعد أن نزل مهدوي عن الدراجة، وضعتها على الأرض في مكان ملاصق للساتر الترابي لحفظها قدر الإمكان من شظايا القصف. دخلنا إلى دشمة الاستراحة ومن ثم ذهبت مع الأخ مهدوي والأخ «براتي» والراصد المتمركز في الخط لاستطلاع المنطقة والحصول

على تفاصيل أدق. ذهبنا إلى المرصد الكائن على بعد عشرة أمتار من دشمة الاستراحة وبعد مراقبة المكان، لفتني وجود شق جديد في جدار قناة الأسماك. أشرت بيدي جهة الشق وقلت لمهدوي: «سجل عندك إحداثيات المكان وأعطها لمرابض الهاون ليكونوا على استعداد فيما لو بدرت عن العدو أي حركة مشبوهة».

بعد تنظيم لائحة باحتياجات المرصد وإعطاء التوصيات اللازمة للراصد، تركت المرصد وذهبت برفقة الأخ ترابي إلى دشمة الاستراحة، ومن هناك اتجهت نحو مرصد «كابلي» الذي تمرّ طريقه خلف جدار قناة الأسماك. بعد عدة منعطفات إلى اليسار، وصلت إلى المخمس ومن هناك ذهبت مباشرة إلى دشمة استراحة مرصد الشهيد كابلي. وضعت الدراجة في المتراس الذي صنعه الإخوة من صناديق الذخيرة ثم دخلت إلى الدشمة. كان في الداخل الإخوة: راضي، كبابيان، وشخص آخر. بعد السلام والاستفسار عن أوضاع المنطقة، قلت للأخ كبابيان:

- حسنًا يا نصر الله هل أنت مستعدّ للذهاب إلى الأمام؟

فأجاب نصر الله بكل حماسة: «كما إنّني جهزت حقيبتي».

- إذًا هيا بنا قبل أن يحلّ الظهر.

كنت أجهّز الدراجة عندما رأيت نصر الله قد جاء بالزي العسكري يحمل حقيبته. فقلت له: «ما هذا يا نصر الله؟ وكأنك ذاهب إلى العرض العسكري! اذهب وبدّل ملابسك وارتدِ اللباس الكاكي ولا تُحضر معك أي أوراق ثبوتيّة أو أي وسائل إضافيّة. فقط أحضر معك لباسًا كاكيًّا آخر وكمامة».

دخل نصر الله إلى الدشمة وعاد بعد عدة دقائق. بعد تلاوة

آيــة الكرســي انطلقنا بدايةً نحــو ساحة الإمام الرضــا ومن هناك إلى جــادة شلمشة – البصــرة ووصلنا إلى بلــدة «دوئيجي»، البلدة الشاهدة على ذلّ البعثيّين. أينما نظرت تجد جثث الجنود العراقيّين والآليات المدمّرة؛ من الدبابات إلى شاحنات الآيفا وسيارات الجيب وبــي أم بــي. لم نكن قد غادرنا البلدة بعد حتــى سمعنا صوت أذان الظهر، فقلت لنصر الله: «تثبت جيداً».

كان العراقيون يعلمــون أنّ الإيرانيّين يخرجون من دشمهم عند كل أذان للوضوء، لذا كان قصفهم يشتدّ علينا في هذا الوقت. كلما اقتربنــا من الخط الأمامي كلما زادت حدّة القصف. عندما وصلنا إلى مثلّــث طرق «وحدت»، سمعت صوت صفــير قذيفة تبعه انفجار مهيب أفقــدني السيطرة على دراجتي للحظــات، وقد حجب دخان الانفجــار الكثيــف الرؤية عنّــي. بعد أن خرجنا مــن وسط الدخان والغبــار، ناديــت نصــر الله وكان سالمًــا لم يُصَب بــأذًى، لا هو ولا دراجتــي. بعد دقائق وصلنــا إلى «مرصد المهدي33» وكانت المنطقة المحيطة به تُعرف باسم «انكشتي» (أي الإصبع) بسبب قرب المسافة بين المرصد ومتاريس كمائن الأعداء.

كانوا في هذا المرصد يستخدمون أنواعًا خاصة من المناظير؛ وفي قبال المرصد تقع حدائــق رضوان بنخيلها المحترق والمقطّع الرأس، وإلى الشمــال منــه يقع مرصــد «أرفند» الصغير، ومــن ثم جزيرة «بواريــن». كانت المسافة التي تفصلنا عــن العدو في كل من جزيرة بوارين وجزيرة الصالحية، أقل من 50م. وتُعدّ المنطقة أفضلَ مكانٍ للعدو إذا ما أراد القيام بعملية أو هجوم ما. لذا كنا نحن والعراقيون حسّاسين جدًّا بالنسبة إليها.

مع سماع صوت الدراجة، خرج الأخ شاملو من الدشمة. وبسبب اشتداد حدّة القصف أسرعنا للدخول ولم ننتظر دعوة من أحد. بعد السلام والاستراحة لفترة قصيرة، اتجهنا برفقة شاملو إلى المرصد.

كان الراصد يراقب المكان بالمنظار، وقد ابتعد عنه عندما رآنا. بعد المراقبة وإعطائنا التوجيهات اللازمة حول المنطقة، ودعت نصر الله واتجهت مع شاملو إلى مرصد الشهيد كابلي.

وصلنا إلى هناك بعد الظهر، وحللنا ضيوفًا على مائدة الغداء في استراحة المرصد. بعد الغداء، نمت في الدشمة ساعةً من الزمن، إلى جانب راضي وشاملو وبراتي.

عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، انطلقت أنا وشاملو وبراتي إلى مركز التنسيق، وبعد 30 دقيقة كنت في عنبر الاستطلاع أقرأ التقارير الواردة من المراصد وأحدّد على المخطط المواقع الجديدة التي نقل العدو دباباته إليها. كنت منهمكًا بالعمل إلى درجة أنني لم ألتفت للوقت إلا مع صوت أذان المغرب. وضبت أوراق التقارير وخرجت من العنبر للوضوء ثم التحقت بصفوف المصلّين لأداء صلاة الجماعة. بعد الصلاة، تحلّقنا جميعنا حول مائدة العشاء، الذي تحول إلى لقاءٍ لسرد مجريات وأحداث الأسبوع! تركت المائدة وخرجت من الدشمة إلى الساتر الترابي. كانت ليلة باردة هادئة لا يخرق هدوءها سوى بضع قنابل مضيئة في سماء شلمشة ما تلبث أن تتراقص وهي تسقط إلى الأرض.

عند الساعة العاشرة ليلًا، كنت في دشمة التنسيق أتحدث إلى الأخ ريفندي وقرّرنا أن نخرج بالسيارة ونجوّل في المنطقة. ما هي

إلا دقائق حتى عبرنا جادة صفوي واتجهنا نحو جادة زيد. كانت ليلة هادئة جدًّا، وبالقرب من تقاطع الشهادة قلت لعلي: «لا يعجبني السكوت في هذا المكان».

بادلني الشعور نفسه. وبعد تفقّد المراصد، عدنا إلى مركز التنسيق عند منتصف الليل. تلك الليلة ذهب ريفندي إلى الأهواز لأمر ما، بينما بقيت وحدي أرقب عقارب الساعة حتى الثالثة فجرًا. بعدها استسلمت للنوم، واستيقظت عند الخامسة صباحًا على أصوات انفجارات متتالية. أسرعت إلى سقف الدشمة لاستطلاع المنطقة ففوجئت بلمعان فوّهات مدافع الأعداء. أسرعت نحو جهاز اللاسلكي وطلبت تقريرًا حول أوضاع المنطقة من مراصد: مؤمني، كابلي دزفولي وقلندري. يقع مرصد دزفولي مقابل مصنع البتروكيميائيات في البصرة ويشرف على جزيرة الأسماك وأم الرصاص. بينما يرتفع مرصد قلندري 60م على أحد أعمدة التوتر العالي خلف مرصد كابلي ويشرف على كامل منطقة الجنوب.

أعلنت المراصد الأربعة أن لا حركة مشبوهة للعدو وأنهم يقصفون فحسب. خرج الحاج روح الله محمدي على الدراجة وذهب إلى مرصد مؤمني ليستطلع الأمر، بينما فشلتُ في التواصل مع مراصد الشهيد ملكي، كله كاڤي، الشهيد حاتمي وخط "المهدي 33". لم يكن ريفندي موجودًا ولم أستطع ترك المكان لأنه لم يوجد أحد غيري لتلقّي الاتصالات. أقنعت نفسي بالبقاء في مركز التنسيق حتى السادسة والنصف حيث نفد صبري فتوكلت على الله وذهبت بالدراجة إلى مرصد الشهيد دزفولي.

توقعت في حال حدوث هجوم أن يكون من جهة جزيرة الصالحية

وأم الرصاص. كانت جادة صفوي وجادة أهواز-خرمشهر تتعرض لوابـل من النيران مما أعاق أي تحـرك لقواتنا. تمكنت بمشقّة من الوصـول إلى طريق فرعية تتجه من جـادة الإمام الرضا عليه السلام نحو مرصد دزفول.

كان المرصـد والطريق الفرعية يتعرضـان لقصف عنيف، يبدو أن 5 دبابـات مع عدد من مدافع الهاون قـد تولّت إطلاق النار على المرصد.

وقفـت للحظـة أفكـر، ثم ضغـط علـى دوّاسة البنـزيـن وسرت بأقصـى سرعة سمحت فيها تلـك الطريق الوعـرة الترابية المليئة بالحفر. وكانت قذائف الدبابـات والهاون تتساقط وتحرث الأرض عـن يمينهـا وشمالها. تمكنت بلطف الله من قطـع المسافة ولم يبقَ سوى أمتار لأصل إلى الدشمة، حين سقطت 4 قذائف على بعد 5 أو 6 أمتار مـن الدشمة، رميت بنفسي من على الدراجة وأسرعت إلى الدشمة بينما ارتطمت الدراجة بالساتر الترابي وانطفأت.

أسرعـت إلى الهاتف، لكـن لم أفلح بالاتصـال وانتبهت إلى أنّ سلك الهاتف كان مقطوعًا. عندها اضطررت للاتصال باللاسلكي، ناديت الإخوة في المرصد وانتقلنا للتحدث على موجة فرعية.

- ماذا ترى؟ ما الأمر؟

- قـال الراصد وهو ينظر بالمنظـار: «القصف شديد، لكنه غير متمركز، كما إنّ الانفجارات المتعدّدة حجبت الرؤية عنا بالكامل».

كنـت أهمّ بالصعود إلى الـبرج عندما ناداني أحد الإخوة وقال: «أخ حجت، ريفندي ينتظرك على اللاسلكي».

ذهبت إلى جهاز اللاسلكي وناديت مركز التنسيق، وبعد تبادل التحية، سألني عن الوضع في المنطقة، فقلت له: «أسرع إلى هنا فنحن بحاجة إليك».

كنت أقف عند باب الدشمة أنتظر اللحظة المؤاتية لإدارة محرّك الدراجة، عندما سقطت 4 قذائف في محيط المرصد، هرعت بعد انفجار القذائف نحو الدراجة وأدرت محرّكها وغادرت مسرعًا نحو مركز التنسيق حيث وصلت إليه بعد 15 دقيقة واستقررت قرب طاولة التخطيط. أثناء غيابي كان الحاج روح الله قد ذهب إلى «مرصد مؤمني» ليطلع على أوضاع المنطقة يمين «كله كاني» والحصول على معلومات من الراصد هناك. وكان الإخوة في مركز التطبيق في حركة دؤوبة. ذهبت إلى عامل الإشارة وطلبت منه التواصل مع مرصدي ملكي وحاتمي والاطلاع على أوضاع المنطقة هناك.

لكن بسبب طول المسافة بيننا وبين المرصدين لم يكن التواصل المباشر ممكنًا، لذا كانت تقارير كلّ من مرصد حاتمي، ملكي وقلندري تصلنا عبر مرصد مؤمني.

كان عامل الإشارة يحملق بي مذهولًا وكنت منهكًا وغاضبًا في آن، لذا صحت به: «هيا نادِ مرصدي حاتم وملكي واعرف وضعيّتهما!».

وضع أحد الإخوة في التنسيق يده على عنقي وجرّني إلى زاوية وقال: «عند الساعة التاسعة صباحًا أعطانا الأخ مهدوي الإحداثيات لإطلاق النار من مرصد ملكي وأخبرنا أنّ العراقيّين اقتحموا خطّنا، لذا طلب إطلاق النار بكل ما لدينا من قوة. كانت هذه آخر أخبار مرصد ملكي!».

حبست أنفاسي في صدري، ولم أعد أطيق صبرًا ليكمل، فتابع:

«فيما بعد طلب مرصد حاتمي إطلاق النار على إحداثيات أعطانا إياها مسبقًا لنقاط على الخطوط العراقية. بعد ذلك، طلب منّا قصف مكان وجوده فلم نفعل، لكن نصر اللّه أصرّ علينا قائلًا: «لقد اقتحموا الخط هيا أطلقوا النار!». لذا أُجبرنا على ذلك، وكانت آخر رسائل مرصد حاتمي أن نطلق النار على مكان تواجده بأقصى ما لدينا وأنه سيدمّر جهاز اللاسلكي خاصّته».

تصبّب منّي عرق بارد، ودون أن أتمكّن من التفوّه بأي كلمة، خرجت من الدشمة. بعد عدة أيام، التقيت بأحد الإخوة من مرصد فرقة المهدي 33، حيث قال لي: «آخر مرة رأيت فيها نصر اللّه كبابيان، كان يحمل الكلاشنكوف ويقاتل الأعداء وجهًا لوجه[1]».

1 - في ذلك اليوم وقع كل من نصر اللّه كبابيان ومحمد رضا مهدوي في الأسر. بعد سنتين و3 أشهر، عاد كبابيان إلى أحضان الوطن، لكن حتى الآن لا أخبار عن مهدوي، على أمل عودة ذلك البطل أيضًا إلى أهله ووطنه.

المهمّة الأخيرة

أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة صباحًا عندما كنتُ أنتقل من الخطوط الخلفية للرصد إلى مركز التنسيق للاطلاع على أوضاع المنطقة. كان الإخوة: السيد محمود، الحاج رضا، الأخ اشتري وآخرون، منشغلين في التخطيط لقصف العدو.

بعد أن تحدثنا قليلًا، أخبروني أنّ العمليات ستبدأ الليلة من محور زيد-الحسينيّة، بهدف دحر العدو إلى ما بعد الحدود.

عند الساعة الثانية من بعد الظهر، انطلقتُ مع السيد داوود وثلاثة آخرين من وحدتنا في سيارة نحو جادة شفيع زاده.

كانت جادة شفيع زاده مفروشة بالحصى وكانت مرتفعة عن الأراضي المحيطة بها اتّقاءً من مياه أمطار الجنوب، لكن لعدم توافر ساتر ترابي محافظ، كان عبورها خطرًا جدًّا.

بعد أن قطعنا مسافة كبيرة من هذه الطريق المليئة بالمطبات، وصلنا إلى دشمة قيادة محور فرقة «سيد الشهداء10» الكائنة خلف قناة عدن. بعد أن ركنّا السيارة في مكان مناسب، دخلنا إلى الدشمة، وقد انفصل عنا أحد الإخوة وذهب إلى الخطوط الأماميّة ليحضر القوات المتمركزة هناك إلى الخطوط الخلفيّة.

إنها ليلة العمليات، وقد سرت حركة غريبة بين قوات المشاة وقادتهم، كما كان قادة السرايا والفصائل منشغلين بإعطاء

التعليمات اللازمة على الخريطة لعناصرهم. بعد دقائق، جاء الإخوة الرُصّاد الذين كانوا متمركزين في الخط الأمامي، وقدموا التقارير عن أوضاع المنطقة وعن حماسة قواتنا، عن شجاعتهم وتضحياتهم وعن استشهادهم.

استقرّ الفريق في الخط فسلّمناهم التجهيزات اللازمة وعدت مع السيد داوود وباقي الإخوة إلى الخطوط الخلفية. وصلنا إلى مركز التنسيق حوالي الساعة الثامنة ليلًا. بعد تقديم التقارير صلينا صلاتي المغرب والعشاء. في الساعة العاشرة ليلًا سرت مشيًا على الأقدام نحو موقع «القاسم بن الحسن» مركز الإخوة الرصاد. كان الطقس باردًا وكعادتها كانت سماء الجنوب متلألئة بالنجوم. كنت أفكر بهذه الليلة، ليلة العمليات، بالإخوة الذين ينتظرون إشارة البدء لينقضوا على الأعداء، ترى ما هو شعورهم الآن؟ وكما قال أحد الأصدقاء، لقد فُتح باب الشهادة قليلًا وسيستقبل المتطوّعين. إنها ليلة الوصال حيث يضحي العشاق بأرواحهم في سبيل لقاء معشوقهم الأبدي.

وصلت إلى دشمة الإخوة الرُصّاد والأفكار ما زالت تراودني. وجدتهم نيامًا على سطحها بسبب شدة الحرّ وتكاثر البعوض في الدشمة. مررت بالقرب منهم إلى أن وصلت إلى رضا. كانت البطانيات داخل الدشمة، لكنني لم أكن أقوى على إحضارها، لذا نمت إلى جانبه.

صباح يوم (1988/7/27)، استيقظت على صوت زيارة عاشوراء. بعد صلاة الصبح انطلقت مع الحاج ميثم لاستطلاع المنطقة والاطلاع على نتائج عمليات الليلة الماضية. سرنا بالسيارة

نحو منطقة العمليات وفي الطريق عرجنا على مركز التنسيق. بعد أن حصلنا على دفتر شيفرات جهاز اللاسلكي والمعلومات عن آخر تطورات الوضع، تابعنا طريقنا نحو جاده شفيع زاده.

وبعد أن قطعنا مسافة 500م من جادة شفيع زاده، وصلنا إلى نقطة تغذية الأمواج الصوتيّة [تقوية البثّ اللاسلكي] الذي يديره اثنان من الإخوة الرُصّاد، وكان بحوزتهم دراجة نارية من نوع 250 نستخدمها للذهاب إلى الخطوط الأماميّة. فالدراجة لا تلفت أنظار الأعداء إليها كثيرًا، كما إنها ذات قدرة عالية على المناورة ومفيدة لكل أنواع الطرقات.

كانت الشمس قد أشرقت عندما وصلنا إلى نقطة التغذية. ركنّا الدراجة في مكان مناسب وذهبنا إلى الإخوة. كنت البارحة قد أوصيتهما بتفقّد زيت المحرّك وملء خزان الوقود إلى ثلاثة أرباعه فقط، حتى إذا ما أصابته شظيّة يكون الوقود أقل من الحدّ اللازم ممّا يقلّل خطر احتراق الدراجة.

بعد تفقّد زيت المحرّك والوقود، وجدت أنّ المخزن ممتلئ حتى آخره. أردت إفراغ كميّة من البنزين منه، لكن بسبب ضيق الوقت انصرفت عن ذلك.

انطلقنا على الدراجة مع الحاج ميثم نحو دشمة قيادة المحور وكان قصف الأعداء شديدًا على الطريق وأطرافها، لكننا والحمد لله وصلنا سالمين إلى محور فرقة سيد الشهداء. عندما سألنا عن وضع المعارك أخبرونا أنّ الإخوة اقتحموا الخط وما زالوا يتقدمون، وكان القادة راضين أيضًا عن عمل الإخوة الرُصّاد.

جاء الإخوة الرُصّاد إلى دشمة المحور، وكانوا يُخبرون مركز

التنسيق بالنقاط التي كان تقدّم الإخوة المقاتلين فيها سريعًا كي يجنّبونا الرماية والقذائف ويوجّهوا رمايات المدافع أكثر نحو عمق خطوط الأعداء. وكانوا في كل نقطة يظهر العدو فيها مقاومةً، يوجّهون نيراننا إليها بشكل مركّز.

بقي الحاج ميثم في دشمة المحور، بينما ذهبت أنا مع فريق الرصد على الدراجات نحو الخط الأمامي. بعد أن عبرنا القناة، توغّلنا مسافة 2700م إلى أن وصلنا إلى طريق «زيد» المعبّدة والتي كانت منذ حوالي الساعة بيد المحتلّ البعثي.

كان الحاج خادم قائد محور فرقة «سيد الشهداء10»، واقفًا بقامته الشامخة على الطريق ويعمل على هداية القوات وتوجيهها. ذهبت إليه مباشرةً، وبعد السلام عرّفته بنفسي وبرفاقي، وبعد التشاور معه اخترنا أفضل دشمة مشرفة على المنطقة من أجل استقرار فريق الرصد. استطلعت منطقة العمليات قليلًا ثم قفلتُ عائدًا إلى دشمة محور الفرقة لأذهب برفقة الحاج ميثم إلى جادة زيد فتقاطع طرق الشهادة.

حوالي الساعة الثامنة صباحًا، انطلقنا من أمام دشمة محور الفرقة نحو الخط، عبرنا القناة وقبل حوالي 500م من جادة زيد المعبّدة، سمعت صوت صفير قذيفة هاون تبعها انفجار مهيب جعلني معلّقًا بين السماء والأرض، لوهلةٍ ظننت أنني استطعت أن أمرّ خلال شق باب الشهادة، لكنني ارتطمت بالأرض بعد قليل، فأدركت أنني ما زلت ترابيًّا وعلى قيد الحياة. ناديت الحاج ميثم: «أين أنت يا حاج؟ هل أنت بخير؟».

تمكّن الحاج ميثم من الزحف إلى جانب الطريق وقال لي: «هيا

يا حجت، أسرع قبل أن تسقط القذيفة التالية».

أردت النهوض، لكن قدمي اليسرى لم تسعفني وكانت غارقة بالدماء. عندما كنت أزحف على صدري نحو حافة الطريق، رأيت سيارة إسعاف تتجه نحوي. فقد شاهد سائق السيارة انفجار القذيفة بالقرب منا وأسرع لنجدتنا. توقفت السيارة ووضعوني على الحمالة.

عندما سارت بنا سيارة الإسعاف نظرت إلى الدراجة، فرأيت العجلة الأماميّة، المحرّك والمقود في جهة؛ والعجلة الخلفيّة والمقعد وجزءًا من سيلندر المحرك في الجهة الأخرى من الطريق.

لقد أدّى انفجار القذيفة إلى انشطار الدراجة إلى نصفين، ولم يكن من أثر لمخزن الوقود الذي يمكن أن ينفجر لإصابته بأصغر شظيّة.

الحمد لك يا رب، تلك هي مشيئتك..

وانطلقت سيارة الإسعاف مسرعة على جادة «شفيع زاده» المليئة بالمطبّات، لتنقلني إلى مستشفى الإمام الحسين عليه السلام.

سلسلة سادة القافلة



تراب كوشك الناعم: ذكريات عابقة بالدروس والعبر من سيرة الشهيد القائد السيد عبد الحسين برونسي؛ الحياة الشخصيّة والجهادية والاجتماعية، بلسان زوجته وذويه ورفاق دربه. هو مدرسة وقدوة؛ في الجبهة وفي المنزل، وأينما حلّ ترك أثرًا طيبًا على من حوله.



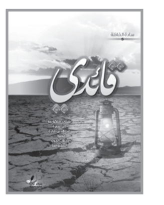
كاوه - معجزة الثورة: باقة مختارة من سيرة الشهيد محمود كاوه وحياته الجهادية؛ أحد القادة الشباب الذين أصبحوا أعلاماً في مجتمع الثورة والمقاومة.



تحيا كتيبة كميل: أن يمتشق مقاتلٌ قلمه سلاحًا ليدوّن ذكرياته، في كتيبة كميل؛ مستذكراً مشاهد المعارك وشجاعة إخوانه الشهداء وتضحياتهم وعذوبة رفقتهم؛ لهي معركة أخرى ونصر آخر يسطّره في الخندق نفسه ومع الرفاق أنفسهم.. مجاهد انتظر بشوق بدء العمليات والشهادة مع كل هجوم وكل طلقة.. «مشاهد مفعمة بالإخلاص، وغالباً ما أخفى الكاتب نفسه خلف أصحابه الشهداء تواضعاً»، كما عبّر الإمام القائد..



القدم التي بقيت هناك: مذكراتٌ يوميّة للأسير المحرّر السيد ناصر حسيني پور الذي التحق في الرابعة عشرة من عمره بجبهات القتال.. رواية شبه فريدة في ذكريات الأسر، كما عبّر الإمام الخامنئي: «رواية استثنائية لحوادث مؤلمة تُظهر للقارئ في كل جزء من أجزائها وفي كل كلمة من كلماتها مدى صبر وصمود وشهامة شبابنا المجاهد من جهة، من جهة أخرى ومدى حقارة وخبث وقسوة جنود صدام وأزلامه».



قائدي: باقة من ذكريات الجهاد والشهادة، رواها مجموعة من المقاتلين.. كتابٌ يضجّ بالمعنويات، مفعمٌ بالإخلاص والإيثار. علّق الإمام الخامنئي عليه بعدما قرأه: «السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وخيرته، السلام عليكم يا أنصار دين الله وأعوان وليّه.. يا آيات الله، يا معجزات الإيمان، يا دلائل سموّ الإنسان الخالد.. يا وردًا حمراء لم يستطع كلّ فساد العالم المعاصر وتلوّثه، أن يمنع من تفتّحها..».

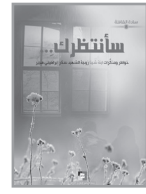


هاجر تنتظر: يروي جوانب من سيرة الشهيد القائد «عباس كريمي»؛ يتألف من فصلين: «هاجر تنتظر» وهو ذكريات زوجته؛ والفصل الثاني «رجل بالكوفية البيضاء» وهو مجموعة قصصية من حياته الجهادية وسيرته العظيمة يرويها رفاقه.

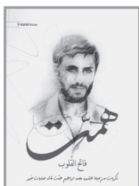


وداع الشهداء: يتضمّن الكتاب مدخلًا أساسيًّا تحت عنوان «حديث الشهادة»؛ مختارات مضيئة من كلمات الإمام الخميني المقدَّس (رضوان اللّه عليه) في الشهادة والشهداء. وفي قسمه الثاني: «وصال الشهداء»، أكثر من 55 ذكرى حول لحظات وداع عزيزة لرجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، فجذبهم إلى لقائه ووصاله.





سأنتظرك: «قدم خير محمدي كنعان» صغيرة إخوتها ومدلّلة أبيها، شاء القدر أن تصبح زوجة مجاهد عاهد نفسه أن يبقى جنديًّا للإمام حتى آخر قطرة من دمه؛ مجاهدٌ كثيرًا ما يتغيّب عن منزله، فتتحمّل زوجته عبء الاهتمام بالأطفال، وتقوم بنفسها بمهمة إدارة المنزل، بكلّ ما تحمله من مرارة وآلام وانتظار وعشق.. يُقدّم هذا الكتاب نموذجًا للمرأة المضحيّة الصابرة، ..



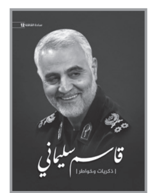
همّت... فاتح القلوب: ذكريات من حياة الشهيد محمد إبراهيم همت- قائد عمليات خيبر وفاتح القلوب قبل الجبهات، ترويها زوجته وذووه ورفاق دربه، بالإضافة إلى باقة من كلماته الجميلة ووصاياه العابقة بقوة الإيمان وحب الإمام ونصرة الثورة.



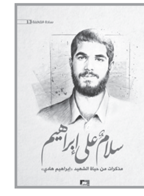
حفلة الخضاب: استلهم الكاتب من «أرواح سالكي المعراج الإنسانيّ»، العزم والهمّة، واستشعر الواجب، قائلًا: «كنت أشاهد عن قرب أروع ملاحم الإيثار والتضحية، وكان هاجس يُشعرني بالذنب: أن يبقى كلّ هذا الإخلاص داخل الخنادق والمتاريس ولا يُسجّل في أعلى صفحات التاريخ». «محمد حسين قدمي» أحد كتّاب مذكرات الدفاع المقدّس؛ مقاتلًا وكاتبًا ومصوّرًا؛ استطاع بقلمه وعدسته تسجيل لحظات جميلة ونادرة.. مضفيًا روح النكتة في قالب قصصي جاذب.



فرقة الأخيار: ملاحم ومغامرات يرويها تعبويّ شجاع، تمرّس في الاستطلاع وعاين المواقع والخرائط، ووجّه الكتائب والسرايا. جريحٌ رافقته هواجس وأوجاع، وعاشقٌ أحبّ واشتاق وانتظر. انجذب ابن الـ16 ربيعًا إلى عالم الجبهة ورفاق الصبا، وغاص في التدريبات البرمائية والالتحام، وشهود الموت وشهادة الرفاق. رحلةُ شابٍّ اختزَن المعلومات والوجع والضحك والمشاكسة والدموع، ورائحة البارود، وعطرَ الشهداء، وملأ نفسه بذكريات 70 شهرًا في الجبهة؛ أدركها وقرّر نقلها لنا.



قاسم سليماني [ذكريات وخواطر]: شذرات من ذكريات متألّقة لقائد فذّ، تمرّس على الجهاد والمنازلة وما ملّ؛ يرافقه النصر من ميدان إلى ميدان، لغز حيّر العدو وأحبط أعماله. نقرأ في كتاب «الحاج قاسم» بلسانه وقطرات دموعه سيرةَ الشهداء، وصحفَ أعمالهم وملفات جراحهم في ذكريات حزينة تعرّفنا إلى أعماله في سنوات الدفاع المقدَّس؛ فنعرف سرّ حيرة العدو وعجزه.



سلامٌ على إبراهيم: باقة مختارة من سيرة الشهيد المفقود الأثر «إبراهيم هادي»؛ سيرة جسّدت مدرسة الأخلاق في الرياضة والسلوك الشبابي؛ .. سلوك أدهش الأقرب والأبعد. شابٌّ ختم بطولاته ومروءته بميدالية الشهادة؛ في عصر يتأثر الشباب بنماذج وضيعة في المجالات الرياضية والفنية. يمكن لحياة «الإبراهيميين» أن تضيء لنا مصباحاً في الليالي المظلمة؛ فقد قال قائدنا: «بهذه الأنجم يمكننا أن نجد الطريق».



نسائم الذكريات الندية: يهدف الكتاب إلى التعريف بتعليقات سماحة الولي الفقيه التي كتبها لـ (36) عنواناً من كتب الدفاع المقدس، وتقديم معرفة إجمالية حولها، تشجيعًا على قراءتها، وتحقيقًا لأهداف أسمى؛..يؤمن الكاتب، مستفيداً من كلمات الإمام القائد، بالارتباط الوثيق ما بين نشر ثقافة وفكر الثورة وحفظ قيمها وديمومة تبيينها.. اتّسم الكتاب بأسلوب جديد وبلغته الأدبية المميّزة.



جوهرة هامون: في رحلة تعرّفه إلى الشهيد «قاسم ميرحسيني» (عارف الجبهة ومساعد القائد الحاج سليَماني)؛ وبأسلوبه القصصي الشيّق؛ يأخذنا الكاتب على أجنحة ذكريات مفعمة بالحياة، ناضحة بآيات الصدق؛ مقتفيًا آثار «جوهرة» مكنونة؛ فيعرّج على ذاكرة الأصحاب، يرتشف من عبق مرويات خُطّت بأقلامٍ وصفتْ بعضًا من تضحيات الشهداء وجميل ما رأوا جمال ما صنعوا..



الهداية الثالثة: «إذا أردنا إحصاء ثرواتنا الثقافية، لاستخرجنا قائمة طويلة..» (الإمام الخامنئي دام ظله) إنّ الاستفادة من التجارب وتطويرها ونقلها هو هاجسُ القادة وأصحاب القرار. حول تجربته في الثورة والحرب المفروضة؛ يروي القائد محمد جعفر أسدي مجموعة رائعة من ذكرياته؛ مساهمًا في ترويج هذه الثقافة ونقل التجربة إلى ساحة أخرى، ..



ملحة تلة برهاني: بعد أن يتعرّف إلى شخصية «برهاني» وكيفيّة التحاقه بالجبهة، يعيش القارئ اللحظات الخطرة، ويحبس أنفاسه مع قراءة الأحداث المدهشة؛ يختبر الإنسان معها صدق التوكل والتسليم وقصة الإيثار والتضحية بعينه.. وقائع سلبت كل شيء من عناصر السريّة؛ إلا الأمل بقوة الغيب وحضوره. جريح ومبلّغ ومقاتل كتب ذكرياته بأسلوب سهلٍ فغدت السلاسة والجاذبية سمة لا تفارقه.



أولئك الـ23 فتى: مذكرات تعبويّ أسير؛ حوادث ومحطات 8 أشهر من سنوات الأسر الثماني مع رفاقه، 23 فتىً تنقّلوا بين قصر «صدام» ومعتقلات الرّمادي، بين القفصين والموصل، وكان فيها ما كان من الأحداث والحكايات؛ علّق القائد عليها: «عشتُ ساعات عذبة بعذوبة هذه الكتابة الجذلة الجذابة والبارعة.. وقضيتُ أوقاتًا مع هؤلاء الفتية، الصغار في السنّ والعالي الهمم..»



تلّة جاويدي وسرّ أشلو: رواية حقيقية في باقة قصصية؛ شارك في سردها 40 راوياً، تحدثوا جميعًا بضمير المتكلم عن مواقف وأحداث رسمت صورة رائعة لحياة هذا القائد الاستثنائي الذي قبّل الإمامُ الخميني جبينَه. من بين الرواة السيد مرتضى آويني ومحسن رضائي وصياد شيرازي، وجعفر أسدي. مرتضى جاويدي قائد كتيبة الفجر التي شاركت في أصعب الهجمات في الخطوط الأمامية، وكان هو حلّال المشاكل والعقد فيها.

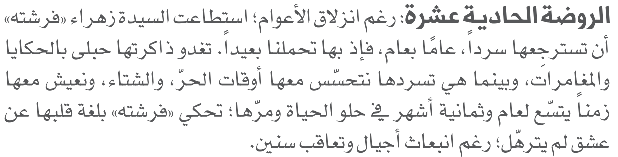


نور الدين ابن إيران: يقول راوي الكتاب: كنت أظنّ أنّ رواية الذكريات ليست بذات أهمية. ولم يتحدث معي أحد بهذا الشأن. كنت في الواقع مبتلى بجراحاتي، لكن في إحدى ليالي العام1994م رأيت في المنام السيد الخامنئي يقرأ ورقة في يده ويبكي. كنت معه في الغرفة نفسها وإذ بأحد الحاضرين يقول هذه ذكريات أحد الجرحى الذي أمضى 80 شهرًا في الجبهات.. شغلت هذه الرؤية بالي، وشعرت أنّ تكليفي يقتضي أن أتحدّث بتلك الذكريات.



دا (أماه) «في جزأين»: رواية حقيقية؛ ملحمية وجهادية؛ لفتاة في الـ17 من عمرها جسّدت أروع المواقف والبطولات، وحضرت في ساحات العدوان، وواجهت أقسى ما يمكن ان تواجهه فتاة في الحرب. في البعد الفني والأدبي؛ سيعرف القارئ أنّ دا رواية تنافس روايات عالمية كثيرة؛ وتطرح أبعادًا جديدة. اعتبرها القائد من الكنوز المتألّقة لذخائر الجبهة ونتاجاتها.

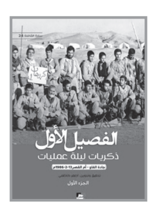




الروضة الحادية عشرة: رغم انزلاق الأعوام؛ استطاعت السيدة زهراء «فرشته» أن تسترجِعها سرداً، عامًا بعام، فإذ بها تحملنا بعيداً. تغدو ذاكرتها حبلى بالحكايا والمغامرات، وبينما هي تسردها نتحسّس معها أوقات الحرّ، والشتاء، ونعيش معها زمناً يتسّع لعام وثمانية أشهر في حلو الحياة ومرّها؛ تحكي «فرشته» بلغة قلبها عن عشق لم يترهّل؛ رغم انبعاث أجيالٍ وتعاقب سنين.



زقاق نقاشها: ثمة خواطر تلمع كخاتم عقيق ومنديل عزاء. لا يتخلّى عنهما الراوي، ذاك المحب الضاحك، رغم معارك كابد فيها جراح البدن والروح، وعاشر قيادات وعناصر. تراه يومض بإشارات عن دور زوجته في دربه، من اللقاء الأول وعلى امتداد الزمن. يخبرنا أبو الفضل كاظمي عن أصدقاء الجبهات، منذ ما قبل «الثورة»، إلى تلك اللحظات الجاذبة، .. ذكريات قسّمت إلى «معابر» لتسير بنا عبر نوافذ مفتوحة، إلى كواكب سابحة في المسارات الحسينية.



الفصيل الأول: ضمّت روايات المقاتلين التعبويّين عن «ليلة العمليات» أفكارًا عميقة وأصليّة بلغة بسيطة. «ليلة العمليات» رمز ومصطلح راج خلال سنوات الحرب، وتمثّل زاوية رؤية ومقاربة، تطلعنا على عمق الحرب وأبعادها المختلفة. وهي ليست تاريخًا جامدًا للأحداث العسكرية، ولا قصصًا من خيال؛ هي نصوص مفعمة بالمعرفة والقيم الدينيّة. علق القائد على الكتاب قائلًا: «هذا الكاتب والمحقق الموهوب جدًا، حيث إنّ هذا النوع من الأعمال هو حقًا وإنصافًا قيّم للغاية، ذهب واستخرج جزئيات القضايا باستنطاق أولئك الأفراد حتى ألّف كتابًا من 600 أو 700 صفحة..».

يـصدر قريبًا:

- **أو يک ملت بـود** (كان أمة- باقة مختارة مـن سيرة الشهيد المظلوم آية اللّه السيد بهشتي)
- **خط فكۀ** (مذكرات السيد محمد شكرى)
- **من زنده ام** (انا على قيد الحياة-بقلم معصومة آباد؛ ذكريات ايام الاسر)
- **در هالـه از غبـار** (في هالة مـن الغبار- بقلم كل علـي بابائي؛ سيرة القائد احمد متوسليان)

قيد الترجمة

- **ملاقـات در فكه** (لقـاء في فكة- بقلم سعيـد علاميان؛ سيرة الشاب المبدع الشهيد غلام حسين أفشردي)
- **وقتـى مهتاب گم شـد** (عندما افتقـد البـدر-بقلم حميد حسام؛ ذكريات الجريح الشهيد علي خوش لفظ)



أمر النار بيدك

"..في هذه المقالة؛ تمّ بيان الجهود المريرة والمُتعِبة لقوات الرصد بشكل جيد. إلهي أعطِ هؤلاء الشباب الطاهرين أفضل ما تعطي أولياءك الصالحين..". (الإمام الخامنئي)

كانت المنطقة هادئة ولا يعكّر صفوها سوى انفجار بعض القذائف، وعلى بعد مئات الامتار، لفتني وجود متراس يفوح منه عطر الجنة؛ يجلس فيه رجل عجوز كحبيب بن مظاهر وثلاثة تعبويين شبّان كالقاسم بن الحسن عليه السلام، وأمام كل واحد منهم قرآن على رحله وقد انشغلوا بتلاوته. غبطتهم على ما هم فيه وقلت في نفسي: "يا لسعادتهم!". وصلنا إلى الخط المتقدّم، نسّقنا مع مسؤول المحور، ودخلنا إلى منطقة الكمائن الواقعة لجهة الشمال وانشغلنا بالرصد. فجأةً بدأ القصف الشديد على خطّنا. أخذت "شيفرة اللاسلكي"، ونظّمت الجهاز على موجتنا واتصلت بمركز التنسيق، ثم أعطيتهم الإحداثيات..


ISBN: 978-614-467-126-9


جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb